المختار من قصص مشاهير الكتاب

ترجمة أمل الرفاعي

مكتبة علي بن صالح الرقمية

المختار من
قصص مشاهير الكتاب

ترجمة: أمل عمر بسيم الرفاعي

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

المقدمة

أعزائي القراء,

يسرني أن أضع بمتناولكم كتابي الثاني بعنوان: "ترجمات مختارة من قصص مشاهير الكتاب" وهي قصص ألفها كتّاب من مختلف الدول وكانت قد تمت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية لما لاقته من شهرة كبيرة ومن انتشار عالمي واسع. كان اختاري لهذه القصص لما يتميّز به أسلوب كل من أولئك الكتّاب من خصوصية في التعبير. وعلى الرغم من أن لكل منهم أسلوبه الخاص في عرض أفكاره , إلا أن العامل المشترك بين القصص التي رأيت أن أضعها بمتناولكم , يكمن بأن الكاتب قد أورد فيها في كل منها مَقولة سامية رغب بنقلها للقارئ, وبأن كل منها يُلقي الضوء على أعماق النفس البشرية, وعلى ردود أفعال المرء في مختلف الظروف. كما تم التركيز فيها بشكل خاص على حاجة كل منا للتمسك بالإيمان وبالمبادئ الأخلاقية , وبأنه لا يصّح إلا الصحيح... فنحن نجد في قصص الكاتب أوسكر وايلد معاني الغيرية والتضحية والوفاء. بينما نجد في قصص الكاتبة لوسي مونتغومري تصويراً رائعاً للعلاقة بين الإنسان والمكان وللعرفان بالجميل وللصفاء والصدق الذي يجب أن تتميز به المشاعر الإنسانية . ومن ناحية أخرى يُصوّر لنا الكاتب أنطون تشيخوف في قصصه الفارق بين الجشع والقناعة , وبأن حريّة الإنسان لا يمكن أن تُقدر بثمن . أما المَقولة التي أوردها الكاتب المتميّز ليو تولستوي في قصصه فهي أن الله (عزّ وجلّ) لا يتخلى عن المؤمن, وبأنه يُظهر الحق ولو بعد حين ,وبأنه لابد أن ينصر المظلوم ويُعاقب الظالم والمتعدي على حقوق الآخرين , وبأن على المرء أن يتصف بالرأفة نحو الآخرين.

وهناك أخيراً قصّة رقيقة جميلة اخترتها لكم من بين مؤلفات الكاتب هانس كريستيان أندرسون تُصوّر قِدسية عاطفة الأمومة ومدى حاجة المرء للإيمان عندما تواجهه النوائب , وبأن الإيمان وحده ما من شأنه أن يمنح المرء السكينة التي لا يُعادلها شيء في عالمنا الدنيوي. وسوف أقوم لاحقاً بنشر المجموعة القصصية الكاملة لهذا الكاتب.

أتمنى لكم قراءة ممتعة.

أمل عمر بسيم الرفاعي

المتسوّل

للكاتب : أنطون تشيخوف

" سيدي الكريم , كن رؤوفاً برجل جائع. فأنا لم أتذوّق الطعام منذ ثلاثة أيام., وليس لدي حتى خمس كوبيك (عملة صغيرة في روسيا) لكي أتمكن من الحصول على مكان أبيت فيه. أقسم بالله على ذلك ! كنت لخمس سنوات مدرساً في القرية , إلا أنني خسرت عملي بسبب دسائس عصابة "الزيمستفو" . كنت ضحية شهادة زور. وأنا الآن بدون عمل منذ أكثر من عام!."

نظر سكورفتسوف , المحامي في بطرسبرغ , إلى معطف المتحدث البالي الأزرق اللون, وإلى عينيه العَكرتين وإلى البقع الحمراء التي تنتشر على خديه وتراءى له بأنه سبق أن شاهد ذلك الرجل.

استمر المتسوّل بالقول " عرضوا علي الآن عملاً في مقاطعة غالوغا , لكن ليس لدي من مال يكفي حتى لتغطية أجور السفر إلى هناك... لطفاً سيدي, ساعدني أرجوك!.. أنا أشعر بالحرج من أن أطلب منك المساعدة لكن... لكن ... ظروفي القاسية تُجبرني على أن أفعل ذلك."

نظر سكورفتسوف إلى قالوشه (خِفّيه) وقال: إن أحدهما مُسطّحاً يُشبه الحذاء , بينما كان الآخر أشبه بجزمة بحيث يصل إلى أعلى ساقه., وبعد تفحّصه له كان قد تذكّره فجأة وقال :

" اسمع, تذكرتك الآن! كنت رأيتك قبل يوم أمس في شارع سادوفوف , ولم تكن قد أعلمتني حينذاك بأنك كنت مدرساً في مدرسة القرية, وإنما ما أعلمتني به هو أنك كنت طالباً وقد تم طردك من المدرسة. أتذكر ذلك؟..."

تمتم المتسوّل بارتباك " لا... لا ... ليس الأمر كما قلت , كنت بالفعل مدرساً في مدرسة القرية وبإمكاني أن أطلعك على الوثائق التي تُثبت ذلك."

قال سكورفتسوف " كفاك كذباً , بل أعلمتني أنك كنت طالباً في مدرسة القرية وبأنك طُردت منها , كما كنت قد رويت لي الأسباب التي أدّت إلى طردك ألا تذكر ذلك؟.."

ثم اصطبغ وجهه بالحمرة وألقى على وجه المتسوّل نظرة ازدراء وصاح به بغضب :

" هذه وضاعة منك... هذه خدعة ... سوف أسلّمك إلى الشرطة. ليلعنك الله ! حتى لو كنت فقيراً وجائعاً, فليس في هذا ما يعطيك الحق بأن تكذب بهذه الطريقة المُخزية."

وكان ذلك الرجل الأشعث الرثّ الثياب قد أمسك بقبضة الباب., ونظر حوله بيأس أشبه بطير وقع في شِرك, وتمتم:

" أنا. . . أنا... أنا لا أكذب , وبإمكاني أن أُطلعك على الوثائق التي تُثبت ذلك."

تابع سكورفتسوف كلامه وهو لايزال في غاية الحنق :

" من الذي سيصدقك؟ أنت تستغل تعاطف الناس مع مدرسي القرية وطلابها -- هذه دناءة , هذا تصرف في غاية الوضاعة, في غاية القذارة, وهو مُقزّز للنفس!...

ثم تصاعد غضبه أكثر , وأخذ يُعنف المتسوّل دون رحمة. فقد أثارت وقاحة ذلك الرجل الرثّ اشمئزازه وحقده ., وكانت بمثابة الإهانة لما كان يُحبه ويُقيّمه في نفسه من مشاعر: الرأفة وطيبة القلب والتعاطف مع التعساء. وكأن ذلك المتسوّل كان بكذبه وباغتصابه المخادع للشفقة , قد دنّس رغبته في الإحسان للفقراء دون أن تشوب قلبه أية ريبة في صدقهم .

حاول المتسوّل في البداية, أن يدافع عن نفسه وحاول أن يُدعّم احتجاجه بالقَسم ثم غرق في الصمت ونكّس رأسه بخجل وقال:

" سيدي, كنت قد كذبت بالفعل! أنا لست طالباً كما أنني لست مدرساً في القرية. كان كل ما قلته تلفيقاً ! الحقيقة أنني كنت أعمل سابقاً مع جَوقة المنشدين ولكن تم طردي منها بسبب إدماني على تعاطي الشراب., ولكن ما الذي بإمكاني أن أفعله ؟ أرجوك أن تُصدّقني بحق الله فليس بإمكاني العيش ما لم أكذب-- ولو أنني قلت الحقيقة فلن يمنحني أحدهم أي شيء. قد يموت المرء من الجوع والبرد لو أنه قال الحقيقة وقد لا يتمكن من الحصول على مأوى حتى للمبيت لليلة واحدة!... ما قلته لي كان صحيحاً, وأنا أتفهّم ذلك, لكن... ما الذي بإمكاني أن أفعله؟ نعم , كان عليّ أن أعمل... وهذا ما أعرفه تماماً , لكن أين سأجد العمل؟"

" هراء , أنت شاب , قوّي البنية وتمتع بصحة جيدة, بإمكانك أن تجد دوماً ما تقوم به من أعمال , ولكن هذا لو كنت قد أردت ذلك بالفعل ... ولكن أتعلم , أنت كسول , متواني ,مُدمن على الشراب! تفوح منك رائحة الشراب أشبه بحانة ! أصبحت فاسداً مُخادعاً إلى نقيّ عظامك, ولم تعد تنفع لشيء سوى للتسوّل والكذب! فلو كنت قد سعيت بالفعل للحصول على عمل ,

لكنت حصلت على عمل في أحد المكاتب, أو مع جوقة المنشدين, أو على عمل مراقب في لعبة البيلياردو, بحيث يكون إمكانك الحصول على أجر حتى دون أن تبذل أي جهد.. لكن ماذا لو تم تكليفك بالقيام بعمل غير كتابي؟ لكنني أراهن على أنك لن تقبل ما قد يُعرض عليك من أعمال. كان بإمكانك أن تعمل بواباً في أحد المباني أو حمالاً في أحد المصانع! إلا أنك تعتبر نفسك أرفع من كل ذلك !...

قال المتسوّل " ما الذي تقوله... ثم ضحك بمرارة وأضاف

" كيف سيكون بإمكاني أن أحصل على عمل غير كتابي ؟ وعلى الأصحّ , فات الأوان الآن لأن أصبح بائعاً في متجر, فعلى المرء أن يبدأ عمله في المجال التجاري في سن صغيرة لكي يكون بإمكانه أن يُصبح بائعاً., كما لن يكلفني أحد بعمل بواب لأنني لست من تلك الطبقة الاجتماعية... كما ليس بإمكاني أن أعمل في مصنع لأنني لا أفقه شيئاً من أمور التجارة ."

"هراء !... أنت تجد دوماً المبرّرات!... ألن ترغب بالعمل في قطع الحطب؟"

" لم أكن سأرفض ذلك, ولكن حتى من يعملون في هذا المجال هم حالياً بدون عمل."

" جميع العاطلين عن العمل يُدلون بمثل هذه الحجج! فعندما يُعرض عليكم أي عمل من الأعمال ترفضونه على الفور. ألن تقبل بالعمل لدي في قطع الحطب؟"

" سوف أفعل ذلك بالتأكيد..."

" جيّد جداً, سوف نرى... ممتاز, سوف نرى!"

وكان سكورفتسوف قد سارع باستدعاء الطاهية من المطبخ, ولكن ليس دون أن يُخالجه شعور خبيث بالسرور, وقال لها:

" أولغا, رافقي هذا الرجل إلى مخزن الحطب واجعليه يقطع ما فيه من حطب."

هزّ المتسّول كتفيه دون مبالاة , ولكن, وعلى الرغم مما كان فيه من دهشة, كان قد تَبِع الطاهية بتردّد ., وكان من الجلّي من طريقة تصرفه بأنه وافق على الذهاب معها لقطع الحطب ليس لأنه كان جائعاً بالفعل, ولا لأنه كان يرغب في الحصول على المال, وإنما كان ذلك ببساطة لأنه خجل من نفسه وكان عليه بذلك أن يحفظ ماء وجهه وكبريائه, ولأنه بالأحرى كان قد تورط أيضاً بما أبداه من استعداده للعمل., كما كان من الواضح أنه لايزال تحت تأثير الشراب, وبأنه كان متعباً وبذلك لم يكن يشعر بأية رغبة في العمل.

أسرع سكورفتسوف إلى غرفة الطعام التي تطلّ على الفناء الخارجي حيث بإمكانه أن يشاهد من نافذتها مخزن الحطب وكل ما يجري في الفناء . شاهد من هناك الطاهية والمتسوّل

يتوجهان إلى مخزن الحطب, تحت الثلوج التي تتساقط بغزارة.. تفحّصت أولغا المتسوّل بحنق ثم فتحت باب مخزن الحطب على مصراعيه.

حدّث سكورفتسوف نفسه " يبدو أنني تسببت بإزعاج تلك المرأة أثناء فترة استراحتها لتناول القهوة. امرأة نزِقة بالفعل!..."

ثم شاهد المدرس المُزيّف أو الطالب المُزيّف يتخذ مكانه على قطعة كبيرة من الحطب ويضع مرفقيه على قطعة أخرى ويستغرق في التفكير. ثم كانت الطاهية قد رمت الفأس تحت قدميه, وبعد أن بصقت على الأرض وبرمت شفتيها بدأت بتعنيفه...

سحب المتسوّل بتردد قطعة كبيرة من الحطب وقام بضربها بالفأس, لكنها انقلبت وسقطت على الأرض., سحب المتسوّل قطعة الخشب نحوه من جديد, وبعد أن نفخ في يديه الباردتين, تناول الفأس مرّة أخرى وأدناها من قطعة الحطب بحذر شديد كما لو أنه كان يخشى أن يضرب يده أو أن يقطع أوصاله, لكن قطعة الحطب سقطت على الأرض من جديد...

حدّث سكورفتسوف نفسه وهو يُغادر غرفة الطعام :

" لابأس , لا أهمية لذلك , لندعه يستمر... فأنا أفعل ذلك لصالحه..."

وكانت أولغا قد ظهرت أمامه بعد ساعة من الزمن لكي تُعلمه بأن المتسوّل قد انتهى من قطع كل ما لديهم من الحطب.

قال سكورفتسوف" أعطه نصف الروبل هذا, وأعلميه أن بإمكانه أن يأتي إليّ في مطلع كل شهر لكي يقطع الحطب , هذا لو رغب في ذلك ...وبأنه سوف يجد لدينا دوماً ما يقوم به من أعمال."

وبذلك عاد المتسوّل في مطلع الشهر التالي وحصل على نصف الروبل , على الرغم من أنه لم يكن يقوى حتى على الوقوف على قدميه. ومنذ ذلك الحين كان المتسوّل قد اعتاد على تكرار التردد إلي منزل سكورفتسوف., وكان يجد دوماً ما يقوم به من أعمال ., كان في بعض الأحيان يُجرّف الثلوج المتراكمة, أو أنه قد يُنظف مخزن الحطب, كما كان في أحيان أخرى يقوم بتنظيف السجاجيد والفرش. وكان يحصل دوماً على ثلاثين أو أربعين كوبيك (عملة روسية) لقاء ما يقوم به من أعمال , كما كان ذات مرّة قد مُنح بنطالاً..

وكان سكورفتسوف عندما انتقل إلى منزله الجديد قد طلب من المتسوّل أن يساعد أيضاً في حزم الأمتعة وفي نقل الأثاث. لكن المتسوّل لم يكن حينذاك ثملاً وإنما كان حزيناً وصامتاً, كما لم يكن تقريباً قد لمس الأثاث, وإنما كان يُتابع سير الشاحنات التي تنقل الأثاث برأس مُطأطأ, كما لم يكن قد حاول حتى أن يبدو مُنشغلاً مع الآخرين. كان يرتجف من البرد, وقد

شعر بالارتباك عندما سخر الرجال الذين كانوا ينقلون الأثاث من ضعفه وكسله وعدم كفاءته ومن معطفه الرثّ الذي كان سابقاً على ما يبدو لرجل محترم. كان سكورفتسوف بعد أن انتهت كافة الأعمال قد أرسل في طلبه. قال له وهو يمنحه روبلاً:

" حسناً, هذا لقاء ما قمت به من عمل . أنا أرى الآن بأن ما قلته لك كان له تأثيره الإيجابي عليك. فأنت لست ثملاً كما لم تكن قد أعرضت عن القيام بكل ما كُلفت به... ما اسمك؟"

" لوشكوف"

" أصبح بإمكاني الآن أن أعرض عليك ما هو أفضل من هذا العمل , وسوف يكون أقل مشقّة. لوشكوف! هل بإمكانك أن تكتب ؟"

" نعم سيدي."

" فإذن, لتأخذ هذه الرسالة ولتذهب إلى أحد زملائي, سوف يُكلّفك ببعض الأعمال الكتابية., وعليك أن تعمل بمثابرة, بألا تشرب الكحول. لا تنسى ما قلته لك . وداعاً."

وكان سكورفتسوف قد ربت على كتف لوشكوف بلطف وحتى أنه كان قد صافحه أيضاً عندما افترقا, وقد غمره شعور كبير بالغبطة لأنه ساعد رجلاً على السير في طريق الهداية.

تناول لوشكوف الرسالة وغادر ولم يعد ثانية لكي يعمل في مخزن الحطب.

مرّ عامان . وذات يوم , بينما كان سكورفتسوف واقفاً أمام كوّة حجز البطاقات في المسرح , شاهد بالقرب منه رجلاً قصير القامة مرتدياً معطفاً بالياً من فراء القطط, وكان ذلك الرجل قد طلب أيضاً بطاقة لحضور العرض وسدّد ثمنها بقطع نقدية صغيرة.

وعندما تبيّن لسكورفستوف بأن ذلك الرجل هو المتسوّل الذي كان يقطع له الحطب قال له :

" أهذا أنت لوشكوف, ما الذي تفعله الآن , وهل تسير أمورك بشكل جيد؟"

أجابه المتسوّل بحياء:

"شكراً لك, أموري جميعها ممتازة, وأنا أعمل الآن في مكتب الكاتب بالعدل وأتقاضى راتباً شهرياً قدره خمسة وثلاثين روبلاً."

" قال سكورفتسوف:

" حسناً , الحمد لله, هذا مبلغ جيّد. أنا سعيد جداً لأجلك. أنا في غاية السرور لوشكوف. أتعلم, أنت, بشكل ما, بمثابة الابن الذي كنت تبنّيته, ألم أكن من أرشدك إلى الطريق السوّي؟

أتذكر كم كنت عَنفتك؟ كنت طوال الوقت, تكاد تسقط على الأرض لكثرة ما تتناوله من شراب... حسناً, وأنا أشكرك أيضاً لأنك تذكرت ما قلته لك ولأنك عَمِلت بنصحائي."

قال لوشكوف" وأنا أيضاً أشكرك سيدي, فلو لم أكن جئت إليك في ذلك اليوم لكنت سأستمر في الادّعاء بأنني كنت مدرساً أو طالباً في مدرسة القرية. نعم, لقد تم إنقاذي في بيتك من السقوط في الحضيض."

" أنا في غاية السرور لأجلك."

" شكراً لكلماتك الطيبة ولأفعالك الطيبة سيدي. كان ما قلته لي ذلك اليوم في غاية الحكمة., وأنا في غاية الامتنان لك ولطاهيتك أيضاً. ليُبارك الله تلك المرأة الطيبة القلب ... أنا مَدين لك طوال حياتي , لكن الحقيقة , أن طاهيتك أولغا كانت هي من أنقذني."

" كيف كان ذلك؟"

" حسناً , كان الأمر كالتالي : كانت كلما جئت لقطع الحطب تستقبلني بالقول :

" أنت أيها السكير ! أنت إنسان نبذك الله (عزّ وجلّ) ! ومع ذلك لم يأخذك الموت بعد, وعليك الآن أن تجلس أمامي هنا لكي تشتكي وتتدب وتنتحب وأنت تنظر إلى وجهي... أنت أيها المخلوق التعيس! لن تحصل على أية سعادة في هذا العالم, كما أنك في العالم الآخر سوف تُحرق في نيران الجحيم !... أنت أيها المخلوق الذي يستحق الرثاء! ... كانت تتحدث معي دوماً بهذا الأسلوب. ليس بإمكاني أن أروي لك الآن كم كانت تشعر بالضيق لأجلي , وكيف كانت في كثير من الأحيان تزرف الدموع لأجلي... لكن ما كان له أكبر الأثر في أعماقي وحتى أكثر من كل ما كنت تقوله لي, أنها...أنها... كانت تقطع الحطب بدلاً عني! ... أتعلم لم أكن قطّ قد قطعت لك أية أخشاب أو حطب... لم أفعل ذلك ولا حتى مرّة واحدة... وإنما كانت طاهيتك تقوم بذلك بنفسها لكي أحصل على الأجر...

كم كان ما فعلته قد أنقذني من الضياع ! وكم كنت قد تغيّرت وأنا أنظر إليها وهي تقطع الحطب!...

وبذلك كنت قد امتنعت عن الشراب . ليس بإمكاني تفسير ما حدث لي ., ما أعرفه فقط هو أنها كانت بما قالته لي وبالطريقة التي كانت قد تعاملت بها معي, قد أحدث تغييراً كبيراً في روحي وفي نفسي ولن أنسى ذلك أبداً.

ثم قال " ها قد تم الإعلان عن بدء العرض . علينا الآن أن نجلس في أماكننا. ثم انحنى لسكورفستوف بالتحية ودخل إلى صالة العرض...

الرهان

للكاتب أنطون تشيخوف

حدث ذلك في إحدى ليالي الخريف المُظلمة . كان المصرفي (صاحب المصرف) العجوز يتنقّل من زاوية لأخرى في مكتبه ، ويسترجع في ذهنه ما حدث في الحفل الذي كان قد أقامه منذ خمسة عشرعاماً في فصل الخريف , حيث تواجد فيه العديد من الأشخاص الأذكياء، وجرت أثناءه الكثير من المناقشات المُمتعة. وكان من بين الأمور التي دارت المناقشات حولها, أن تطرّق الحديث إلى عقوبة الإعدام ... كان غالبية الضيوف, ومن بينهم عدد غير قليل من الأدباء والصحفيين, قد أبدوا عدم تأييدهم لعقوبة الإعدام. واعتبروا بأنها وسيلة عقاب قديمة ، مُنافية للأخلاق كما أنها لاتتناسب مع دولة مسيحية. وكان رأي البعض الآخر بأن تلك العقوبة يجب أن تُستبدل ,وعلى الصعيد العالمي , بعقوبة السجن المؤبّد. ثم قال صاحب الدعوة :

"أنا لا أتفق معكم على ذلك. بالطبع أنني لم أكن قد جرّبت لا عقوبة الإعدام ولا عقوبة السجن المؤبّد ، ولكن لوكان بإمكان المرء أن يختار الأفضل بينهما ، فأنا أجد بأن عقوبة الإعدام أكثر أخلاقية وأكثر إنسانية من عقوبة السجن المؤبّد., لأن تنفيذ حكم الإعدام يؤدي إلى قتل المرء على الفور، بينما تقتله عقوبة السجن المؤبد بشكلٍ تدريجيّ, فما هو الأكثر إنسانية من بينهما، أهو الشخص الذي يقتلك خلال ثوانٍ، أم الشخص الذي يستمر في قتلك على مدى السنوات؟ .."

وكان أحد الضيوف قد عَقّب على كلامه بالقول :

"أعتقد بأن العقوبتين تتساويان في عدم أخلاقيتهما، لأن الهدف منهما واحد، وهو أنك بذلك تكون قد سلب الشخص حياته. الدولة ليست الله، وليس لها الحق, عندما ترغب بذلك ,أن تأخذ من المرء ما ليس بإمكانها أن تُعيده..."

وكان من بين أولئك الضيوف أحد المحامين، وهو شاب في حوالي الخامسة والعشرين، كان ذلك المحامي عندما سؤل عن رأيه قد قال:

"برأيي أن كل من عقوبتي الإعدام والسجن لمدى الحياة تتساويان في كونهما من العقوبات غير الأخلاقية, ولكن لو عُرض علي الاختيار بينهما, فسوف أختار الثانية بالتأكيد, فمن الأفضل أن يعيش المرء بطريقة أو بأخرى على ألا يعيش على الإطلاق."

وتلا ذلك نقاشٌ مثير مما جعل المصرفي, الذي كان حينذاك أصغر سناً وأكثر انفعالية, يفقد سيطرته على أعصابه. كان قد ضرب بقبضة يده فجأة على الطاولة، ثم استدار نحو المحامي الشاب وصرخ في وجهه:

"هذا كذب، أراهنك على مليونين بأنك لن تحتمل البقاء في زنزانة ولا حتى لمدة خمس سنوات."

وكان المحامي قد أجابه:

" إن كنت جاداً بما تقوله، فأنا أراهنك على أنني سوف أبقى في زنزانة ليس فقط لمدة خمس سنوات وإنما لمدة خمسة عشر عاماً."

هتف المصرفي " خمسة عشر عاماً! اتفقنا ! أيها السادة، أراهن على ذلك بمليونين."

وقال المحامي " حسناً , اتفقنا ! أنت تراهن على مليونين، وأنا سأراهن على ذلك بحريتي."

وهكذا كان ذلك الرهان القاسي السخيف قد تمّ .

كان المصرفي في ذلك الوقت يمتلك ما لا يمكن إحصاؤه من الملايين، ولكونه شخص فاسق ومزاجي كان قد شعر حينئذٍ بالكثير من الجذل لما جرى.

لكنه أثناء تناول العشاء قال للمحامي على سبيل المزاح:

"فلتعد إلى صوابك، أيها الشاب، قبل أن يفوت الأوان. المليونان لا شيء بالنسبة إلي، لكنك بذلك سوف تُعرّض نفسك لإضاعة ثلاث أو أربع سنوات من أجمل أيام حياتك. وأنا أقول ثلاث أو أربع سنوات لأنك لن تتمكن من البقاء محتجزاً لأكثر من هذه المدة. لا تنس، أيها الرجل البائس، بأن الحبس الذي يتم بإرادة الشخص أقسى بكثير من الحبس الإجباري., لأن مجرد التفكير بأن لديك الحق في أن تُحرّر نفسك في أية لحظة، من شأنه أن يُسمّم حياتك داخل الزنزانة., وأنا أشعر بالشفقة عليك."

كان المصرفي يذرع المكان جيئة وذهاباً ومن زاوية لأخرى وهو يسترجع ما جرى ثم بدأ يُحدث نفسه وتساءل:

"لِم قمت بمثل هذا الرهان ؟ وماهي الفائدة من ذلك، سوف يخسر المحامي خمسة عشر عاماً من حياته، وسوف أخسر أنا المليونين. فهل سيكون بإمكاني بذلك أن أقنع الناس بأن عقوبة الإعدام أسوأ أو أفضل من عقوبة السجن لمدى الحياة؟ لا، لا ! .. كان كل ذلك تافهاً سخيفاً, ولم يكن الأمر بالنسبة إلي سوى نزوة رجل مَليء أمام جشع ذلك المحامي للذهب."

ثم تذكّر ما حدث بعد حفل تلك الليلة. كان قد تقرّر بأن على المحامي أن يُحتجز في أحد أجنحة حديقة منزل المصرفي تحت رقابة صارمة للغاية. . كما تم الاتفاق على أن يتم حرمان المحامي خلال تلك الفترة حتى من اجتياز عتبة الباب, ومن الاختلاط بالناس, وسماع الأصوات البشرية, ومن تلقّي الرسائل والصحف اليومية. وعلى أن يُسمح له فقط باقتناء إحدى الآلات الموسيقية، وبمطالعة الكتب وكتابة الرسائل وبشرب النبيذ وبالتدخين. وبأن يكون بإمكان المحامي بموجب ذلك الاتفاق أن يتواصل مع العالم ولكن بصمت من خلال نافذة صغيرة تم بناؤها خصّيصاً لهذا الغرض. كما سيكون بإمكانه أن يحصل على أية كمية قد يرغب بها من الكتب والموسيقى ومن النبيذ بمجرد إرساله حاشية صغيرة عبر النافذة...

وكان قد تم إيراد جميع تلك التفاصيل الدقيقة في ذلك الاتفاق، مما جعل حبس ذلك المحامي حبساً صارماً مُنعزلاً يُلزمه بالبقاء مُحتجزاً لمدة خمسة عشر عاماً, وذلك اعتباراً من الساعة الثانية عشرة من الرابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام 1870 وحتى الساعة الثانية عشرة من الرابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام 1885. كما نصّ الاتفاق على أن أقلّ محاولة من المحامي لمخالفة الشروط المنصوص عنها في الاتفاق وبأن أية محاولة منه للهرب, حتى لو كان ذلك قبل دقيقتين فقط من الوقت المحدد، من شأنها أن تُحرّر المصرفي من التزامه تجاه المحامي بدفع المليونين.

وقد تبيّن أثناء العام الأول من الاحتجاز، كما بإمكان المرء أن يلاحظ من الحواشي المُقتضبة التي كتبها المحامي, بأن السجين كان يُعاني بشكل رهيب من الوحدة والضجر., وكان صوت عزفه على البيانو يُسمع من الجناح الذي احتُجِز فيه من الصباح إلى المساء. وكان الشاب قد رفض شرب النبيذ والتدخين، حيث كان قد كتب ملاحظة قال فيها:

"من شأن النبيذ أن يتسبب في إثارة الغرائز، والغرائز هي الخصم الرئيسي للسجين, وعلاوة على ذلك، فليس هناك مما قد يتسبب للمرء بالضجر أكثر من أن يشرب النبيذ الجيّد بمفرده، كما من شأن التدخين أن يُفسد جو الغرفة..."

وكان قد تم تزويد السجين خلال العام الأول من الاحتجاز, بكتب ذات الطابع البسيط السهل الفهم مثل الروايات التي تتحدث عن مشكلات الحب، وبقصص الجرائم والفانتازيا (الخيال) وكذلك ببعض القصص الهزلية وغيرها.

ثم بدأ المحامي, في العام الثاني, يطلب تزويده بكتبٍ عن الأدب الكلاسيكي فقط, ولم يعد يُسمع صوت عزفه على البيانو.

لكن صوت الموسيقى عاد يَصدح من جديد في العام الخامس من الاحتجاز, كما كان السجين قد بدأ يطلب تزويده بالنبيذ. قال من تم تكليفهم بمراقبته بأن كل ما كان يقوم به طوال العام, هو أنه كان يأكل ويشرب الخمر ثم يستلقي بعد ذلك على سريره., وبأنه كان يتثاءب كثيراً, كما كان يُحدّث نفسه بغضب. لم يعد السجين يقرأ الكتب, وإنما كان يجلس لكي يكتب أحياناً طوال الليل ثم يقوم في الصباح بتمزيق كل ما كتبه., وكان صوت بكائه قد سُمع أكثر من مرّة.

وكان السجين خلال النصف الثاني من العام السادس، قد بدأ يدرس وبكل حماس علوم اللغات والفلسفة والتاريخ., وكان قد انكبّ على تلك المواضيع بكل شغف, مما جعل المصرفي يجد صعوبة في تزويده بالعدد الكافي من الكتب. كان قد اشترى له بناء على طلبه خلال أربع سنوات فقط, ما يُقارب الستمائة مجلدٍ., كما كان المصرفي أثناء الفترة التي استمر فيها شغف السجين بالمطالعة, قد تلقّى منه الرسالة التالية:

"عزيزي السجّان، أنا أكتب إليك هذه السطور بستِ لغات. فلتقم بعرضها على الخبراء ولتجعلهم يقرؤونها. وفي حال عدم عثورهم على أي خطأ فيها, أرجو أن تُعطي أوامرك بأن يتم إطلاق النار من بندقية في الحديقة, وسوف أعلم بسماعي صوت إطلاق النار بأن جهودي لم تذهب هباء. يتحدث العباقرة في جميع الأعمار والبلدان بلغات مختلفة, ولكن الشعلة ذاتها تضطرم لدى جميع هؤلاء العباقرة.

آه ، لو كنت تعلم فقط مدى سعادتي لأنني أصبحت الآن أفهمهم!"

وكان قد تم تحقيق رغبة السجين بناء على أوامر المصرفي, بأن تم إطلاق طلقتين في الحديقة.

أما لاحقاً، وبعد مرور السنة العاشرة، فقد لوحظ بأن السجين كان يجلس دوماً أمام طاولته دون حراك ويقرأ إنجيل العهد الجديد., وكان المصرفي قد استغرب من أن يكون ذلك الرجل الذي كان قد قرأ خلال أربعة أعوام ستمائة مجلدٍ في مختلف العلوم, قد أمضى الآن عاماً كاملاً في قراءة ذلك الكتاب الصغير السَهل الفَهم. ثم كان السجين بعد ذلك قد استبدل إنجيل العهد الجديد بالكتب التي تتحدث عن تاريخ الديانات وعن مختلف علوم اللاهوت (علوم الدين).

ثم كان السجين خلال السنتين الأخيرتين من الاحتجاز قد قرأ عدداً استثنائياً من مختلف الكتب وكيفما اتفق. ثم توجّه بعد ذلك إلى دراسة العلوم الطبيعية., ثم قرأ كتب بايرون وشكسبير. وكانت تصلهم منه بذات الوقت بعض الحواشي, التي يطلب فيها تزويده إما بكتاب

في الكيمياء، أو في العلوم الطبية، أو بإحدى الروايات, أو ببعض الأطروحات التي تتناول المواضيع الفلسفية وعلوم اللاهوت. وكان بمطالعاته لتلك الكتب أشبه بمن يسبح في البحر بين قطع من حطام سفينة غارقة, وهو بما فيه من رغبة في إنقاذ حياته , يتمسّك بكل لهفة بقطعة بعد أخرى من ذلك الحطام.

حدثّ المصرفي نفسه وهو يسترجع كل ذلك:

" في الساعة الثانية عشرة من الغد سوف يحصل ذلك المحامي على حريته., وسوف يكون علي بموجب الاتفاق أن أدفع له المليونين. لو كان علي القيام بذلك فسوف ينتهي كل شيء بالنسبة إلي، وسوف أفلس إلى الأبد...

كان المصرفي قبل خمسة عشر عاماً يمتلك العديد من الملايين بما لا يمكن إحصاؤه، لكنه لم يعد يجرؤ الآن حتى على التساؤل أيهما أكثر ما لديه من الأموال أم ما عليه سداده من الديون؟ كان قد قامر بالأسهم وبالمضاربات المالية الخطرة . كما كانت أعماله قد بدأت تتراجع أيضاً بالتدريج نتيجة ذلك العبث الذي لم يكن بإمكانه أن يُقلع عنه رغم تقدمه في السن, مما جعله يتحوّل من رجل الأعمال الجريء ,المتكبّر والواثق من نفسه إلى صاحب مصرف عادي يرتجف أمام كل ارتفاع أو انخفاض في سوق العملة.

همس المصرفي العجوز لنفسه وهو يضرب رأسه بقبضة يده بيأس:

" ذلك الرهان اللعين. لِم لم يمت هذا الرجل؟ هو الآن لايزال في الأربعين من عمره., وبذلك سوف يأخذ آخر ما لدي من أموال ، لكي يتزوج ويهنأ بالحياة ويقامر بالعملة, بينما سيكون علي أن أنظر إلى كل ذلك أشبه بمُتسّول حسود, وأنا أسمع منه يومياً ذات العبارات:

"أنا بغاية الامتنان إليك للسعادة التي أنا فيها الآن, دعني أساعدك! لا, هذا كثير, كثير جداً !... الطريقة الوحيدة للنجاة من الإفلاس ومن العار هي بموت هذا الرجل."

كانت دقات الساعة قد أشارت للتو إلى الثالثة صباحاً. بدأ المصرفي يُصغي. كل من في المنزل يغطّ الآن في النوم. وليس بإمكان المرء أن يسمع سوى صوت حفيف الأشجار التي تئن خارج النوافذ. فتح المصرفي الخزانة الحديدية وهو يُحاول عدم التسبب بانطلاق أي صوت., وأخرج منها مفتاح الباب الذي لم يكن قد فُتح منذ خمسة عشر عاماً, ثم ارتدى معطفه وخرج من المنزل.

كانت الحديقة مظلمة باردة ., وكان المطر يسقط بغزارة., وكانت الرياح العاتية الرطبة تعصف بأشجار الحديقة دون توقف. لم يكن بإمكان المصرفي ,على الرغم من أنه كان يحدّق بعينيه إلى أقصى مدى, أن يُشاهد لا الأرض ولا التماثيل البيضاء ولا ذلك الجناح في الحديقة

ولا الأشجار. وعندما اقترب من جناح الحديقة نادى الرجل المكلف بالمراقبة مرتين, ولكن لم يجبه أحد. حدث نفسه:

" من المؤكد أن الرجل المكلف بالمراقبة قد التجأ في هذا الطقس السيئ إما إلى البيت الزجاجي أو إلى المطبخ، ولا بد أنه الآن يغطّ في النوم.

فكّر العجوز" لو كانت لدي الشجاعة لإتمام ما أنوي القيام به، فسوف تقع الشبهة على الرجل المكلف بالمراقبة قبل أي شخص آخر."

تلمّس طريقه في الظلام إلى السلالم, توجّه نحو الباب ودخل إلى ردهة جناح الحديقة. حشر نفسه داخل الممر الضيق وأشعل عود ثقاب. لم يكن هناك ما يشير إلى وجود أية نفس بشرية في المكان. كل ما كان فيه سرير بدون ملاءات، ومدفأة حديدية تقبع في إحدى الزوايا, ولم تكن أختام الشمع التي كان قد تم إغلاق باب غرفة السجين بها قد أزيلت.

وعندما انطفأ عود الثقاب, تسلّل العجوز إلى الداخل عبر النافذة الصغيرة وهو يرتجف لشدّة الاهتياج.

كانت هناك شمعة تلتهب على نحو باهت في غرفة السجين وكان السجين ذاته جالساً أمام الطاولة, بحيث كان بإمكان المرء أن يشاهد فقط ظهره ويديه وشعر رأسه . كان أمامه عدد كبير من الكتب وكانت جميعها تلك الكتب مفتوحة ومُبعثرة هنا وهناك على كلّ من الطاولة وعلى الكرسيّين وعلى البساط إلى جانب الطاولة.

مرّت فترة خمس دقائق دون أن يتحرّك ذلك السجين ولا حتى مرّة واحدة. لابد أن مدة السجن التي دامت خمسة عشر عاماً قد علّمته كيف يجلس دون حراك. نقر المصرفي بإصبعه على النافذة، ولم يستجب السجين لذلك أيضاً بأية حركة.

اقتلع المصرفي أختام الشمع التي كانت على الباب بكل حذر, ووضع المفتاح في القفل. صدر عن القفل الصدئ صوت صرير قاسٍ ثم فُتح الباب. كان المصرفي قد توقع أن يسمع على الفور صوت صرخة تنم عن المفاجأة أو صوت وقع أقدام. ولكن مرّت فترة من الزمن ظلّ الهدوء خلالها مُخيماً في الداخل كما كان في السابق. وبذلك قرّر المصرفي الدخول.

كان هناك أمام الطاولة رجل لا يُشبه الآدميين في شيء، بحيث يصعب على المرء أن ينظر إليه. كان عبارةً عن هيكلٍ عظميّ بجلدٍ منُكمش, وشعرٍ طويلٍ جَعد يشبه شعر النساء. كان أشعث اللحية, بوجه شاحب غائر الوجنتين. كان ظهره طويلاً وضيقاً ، وكانت يده اليمنى التي يسند بها رأسه الكثيف الشعر على الطاولة, ضعيفة ونحيلة للغاية. كان الشيب قد خطّ شعره بحيث أصبح بكامله رمادياً . لم يكن بإمكان المرء أن ينظر إلى وجه ذلك الشيخ الهزيل،

أن يُصدق بأنه في الأربعين من عمره فقط . كانت أمام رأسه المَحني على الطاولة, قطعة من الورق كان قد كتب عليها على ما يبدو شيئاً ما بتلك اليدّ الهزيلة. فكّر المصرفي العجوز :

" لابدّ أن هذا الشيطان البائس الذي يغطّ بالنوم يحلم الآن بالملايين. لن يكون علي سوى أن أُمسك بهذا الشيء نصف الميت وأن ألقي به على السرير, وأن أُخمد أنفاسه بالوسادة لفترة وجيزة. ولن يكون بإمكان أدقّ الفحوصات بعد ذلك أن تعثر على أية أثر لميتة غير طبيعية. ولكن دعنا نقرأ أولاً ما كتبه هنا."

أخذ المصرفي الورقة من فوق الطاولة وبدأ يقرأها:

"في الساعة الثانية عشر ليلاً من يوم الغد سوف أحصل على حريتي، وسوف يكون لي حق الاختلاط بالبشر.، لكنني أعتقد بأن من الضروري أن أقول لك بضع كلمات قبل أن أغادر هذه الغرفة وأرى الشمس... أريد أن أعلمك بضميرٍ واعٍ وأمام الله الذي يراني بأنني أحتقر الحريّة والحياة والصحّة وكل ما يُطلق عليه في كتبك "مباهجَ الحياة في هذا العالم".

"كنت لمدة خمسة عشر عاماً, قد انكببت بكل مثابرة, على دراسة الحياة على الأرض. صحيح أنني لم أكن طوال تلك السنوات قد شاهدت لا الأرض ولا البشر, لكنني كنت بواسطة كتبك قد شربت النبيذ الفوّاح، وأنشدت الأغاني، واصطدت الغزلان والخنازير البريّة في الغابات, وأحببت النساء... كانت النساء الجميلات اللاتي يُشبهن السحب السماوية التي اختلقها خيال الشعراء العباقرة، يزَرنني في الليل ويهمسْنَ إلي بقصص رائعة يثمل بها رأسي."

" وكنت بواسطة كتبك , قد تسلقت قمم إيلبروز ومون بلان وشاهدت منها كيف تُشرق الشمس في الصباح, وكيف ينتشر الظلام في المساء. شاهدت كيف ينتشر اللون الذهبي الأرجواني على المحيط وعلى سلاسل الجبال. شاهدت من هناك كيف يخترق البرق الغيوم. شاهدت الغابات الخضراء والحقول والأنهار والبحيرات والمدن. سمعت صوت غناء جنيّات البحر, وصوت المزامير, ولمست أجنحة الملائكة التي كانت تطير من حولي والتي كانت تأتي إلي لكي تتحدث عن عظمة الله (عزّ وجلّ)... "

" كنت بواسطة كتبك قد رميت نفسي في قعر الجحيم, وفعلت المعجزات, وأحرقت المدن على الأرض، وقمت بالتبشير بأديان جديدة، وغزوت جميع الدول..."

" منحتني كتبك الحكمة, وبذلك تكثفت في جزء صغير من جمجمتي, جميع الأفكار الإنسانية التي لا تَفنى, جميع الأفكار التي كانت قد اختُلِقت عبر القرون، وأنا أعلم بأنني الآن الأكثر ذكاءً منكم جميعاً."

"أنا أزدري كتبك، وأحتقر كل ما في هذا العالم من مباهج ومن حكمة. كل ما في هذا العالم باطل، سهل الزوال، وهمي, خيالي وأشبه بالسراب... فمهما كنت متكبّراً وحكيماً وجميلاً، وثريّاً فسوف يمسحك الموت من على وجه الأرض أشبه بفأر وسوف تُصبح تحت الأرض., وسوف تصبح رفاهيتك وتاريخك وخلود رجالك العباقرة , عبارة عن بركان مُتجمد احترق بكامله مع الكرة الأرضية."

"أنت مخبول، لأنك مشيت في الطريق الخطأ. ولأنك اخترت الكذب عوضاً عن الصدق, ولأنك اخترت القبح عوضاً عن الجمال. وكما أنك قد تعجب لو كان على أشجار البرتقال والليمون أن تحمل فجأة الضفادع والتماسيح عوضاً عن الثمار، ولو أن رائحة تعرّق الخيول قد بدأت تفوح من الورود, فأنا أعجب منك أنت، أنت الذي قايضت السماء بالأرض. ولست أرغب بفهمك..."

" ولكي يكون بإمكاني أن أثبت لك بالفعل ازدرائي لما تعيش عليه، فسوف أتنازل عن المليونين اللذين كنت حلمت بهما كما يحلم المرء بالجنة... أصبحت الآن أزدريهما. ولكي أكون قد حرمت نفسي من حقي بهما، فسوف أخرج من هنا قبل خمس دقائق من الأجل المنصوص عليه، وهذا ما سوف يُخلّ بشروط الاتفاق."

كان المصرفي بعد أن أنهى قراءة الورقة، قد أعادها إلى مكانها على الطاولة, ثم قبّل رأس ذلك الرجل الغريب الأطوار وبدأ يبكي, ثم خرج من الجناح... إلا أنه لم يكن في أي وقت مضى، وحتى عندما خسر جميع أمواله في البورصة، قد شعر بمثل ذلك الاحتقار لنفسه كما شعر به الآن. وكان عندما عاد إلى منزله قد استلقى على سريره, لكن اهتياجه ودموعه منعاه من النوم لوقت طويل...

وفي صباح اليوم التالي, كان ذلك الرجل البائس المكلف بمراقبة السجين قد أسرع إليه لكي يُعلمه بأنهم شاهدوا الرجل الذي يعيش في جناح الحديقة يتسلّق النافذة إلى الحديقة، وبأنه توجّه بعد ذلك إلى السياج المحيط بها واختفى.

حينئذ, ذهب المصرفي مع خدمه على الفور إلى الجناح الذي كان السجين مُحتجزاً فيه، وأقام البيّنة على هروبه, ولكي يتفادى الشائعات غير الضرورية, أخذ ورقة التنازل التي كانت على الطاولة وبعد أن عاد إلى منزله وضعها في خزانته الحديدية وأقفل عليها....

نهاية سعيدة

للكاتب أنطون تشيخوف

كانت ليوبوف غريغورينيفا وهي امرأة ضخمة ممتلئة الجسم في الأربعين من عمرها مهمتها الوساطة في تزويج الأشخاص, بالإضافة إلى الكثير من الأمور الأخرى التي لا يتم التحدث عنها إلا همساً., قد جاءت لرؤية ستاتشكين رئيس الحرس في الوقت الذي كان فيه خارج مناوبته . كانت ليوبوف قد شعرت إلى حدّ ما بالحرج , وكان ستاتشكين أيضاً قد شعر بالحرج لكنه كان كعادته رزيناً عملياً وجدّياً . وبينما كان يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويُدخن لفاته قال:

" سيدة غريغورينيفا سرني جداً التعرف عليك ! أعلمني سيمون ايفانوفيتش بأنه قد يكون بإمكانك مساعدتي في موضوع حساس وهو في الواقع في غاية الأهمية أيضاً , بحيث سوف يكون له أثره على تحقيق السعادة لي في هذه الحياة.

بلغت سنّ الثانية والخمسين., وهي مرحلة من الحياة يكون فيها الكثيرون قد أنشؤوا أولادهم . لدي عملاً مضموناً , وعلى الرغم من لست أمتلك مثل تلك الثروة الكبيرة , لكنني مع ذلك بوضع يؤهلني لأن تكون بجانبي زوجة مُحبة وبأن يكون لدي بعض الأولاد... وبإمكاني أن أقول لك, وهذا بيننا , بأن لدي أيضاً بالإضافة إلى راتبي الشهري , بعض المدخرات في المصرف., ذلك لأن أسلوب حياتي كان قد مكنني من الادخار . أنا رجل عملي رزين لا أشرب الخمر, وأعيش حياة مستقيمة بمبادئ أخلاقية راسخة., وبذلك بإمكاني أن أعتبر نفسي قدوة للكثيرين. ولكن ما ينقصني هو شيء واحد , الجو العائلي الخاص بي وشريكة لحياتي...

أنا حالياً أعيش أشبه بشخص ضائع لأن حياتي تخلو من أية بهجة., فليس لدي من أتحدث إليه, وليس لدي من قد يناولني كأساً من الماء عندما أمرض وهكذا...

" سيدة غريغورينيفا ! علي أن أعترف أيضاً بأن للرجل المتزوج مكانة اجتماعية أرفع من الرجل العازب... أنا رجل من طبقة اجتماعية مثقفة, أمتلك ما يكفي من مال, لكنني من ناحية أخرى... ماذا أنا ؟ أنا رجل وحيد , ليس لدي أي أصدقاء أو أنسباء ولست أكثر من ناسكٍ لذا لدي رغبة ملحة بالزواج.

قالت الخاطبة بتنهيدة " ممتاز!."

ثم استمر بالقول" وبما أنني رجل وحيد وليست لدي أية معارف أو علاقات في هذه المدينة , لذا لست أدري لمن بإمكاني أن أتوجه وإلى من بإمكاني أن أتقدم ما دمت أعيش بين الغرباء؟ لذا نصحني سيمون ايفانوفيتش باللجوء إلى شخص مثلك فأنت امرأة مُتخصّصة بهذا المجال, مهمتك وبإمكانك إعداد الترتيبات لإسعاد الآخرين. أرجو منك الاهتمام الجدّي بالموضوع ومساعدتي في ترتيب مستقبلي, فأنت تعرفين جميع الفتيات اللواتي هنّ في سن الزواج في هذه المدينة., وأعتقد بأن من السهل عليك أن تؤدي لي هذه الخدمة.

" بإمكاني أن. . . . "

لكنه قاطعها بالقول " تفضلي , كأس العصير . . . "

وكانت ليوبوف بالأسلوب المُعتاد للخاطبة قد رفعت الكأس إلى فمها وشربته دفعة واحدة.

ثم كرّرت " سوف يكون بإمكاني القيام بذلك بالطبع ولكن ما هي مواصفات العروس التي ترغب بها؟"

" مواصفات العروس التي أرغب بها ؟ لنترك الأمر لما سيختاره لي القدر."

" الأمر بالطبع بيد القدر ولكن لكل شخص ذوقه الخاص به كما تعلم. بعضهم يحب الشقراوات والبعض الآخر يحب السمراوات.

قال ستايتشكين برزانة وهو يتنهد:

" أنا رجل عملي, رجل على خُلق., لذا يأتي الجمال والمظاهر الخارجية بالنسبة إلي بالمرتبة الثانية. لأن الجمال, وأنت ولابد تعلمين ذلك., ليس بطبق شهي على مائدة طعام أو كرّة نلعب بها. كما أن الزوجة الجميلة قد تتسبب للمرء بالكثير من القلق. الطريقة التي أنظر بها إلى الأمر هي أن ما يهم في المرأة أكثر لا يكمن في المظهر وإنما يكمن في الروح... على المرأة أن تمتع بجميع الفضائل والخصال الحميدة...

"هل ترغبين بالمزيد من العصير؟ . . .

ثم استمر في حديثه " سوف يكون من المُحبب بالطبع أن تميل الزوجة إلى السِمنة.. ومع ذلك ليس لهذا الأمر أهميته البالغة بالنسبة لحياة مشتركة سعيدة. الأمر الأهم هو العقل . ولكن بمعنى أكثر دقّة أيضاً , لا تحتاج المرأة كثيراً إلى العقل لأنها لو كانت عاقلة جداً فسوف تكون مُعتدّة جداً بنفسها وسوف يكون لديها في ذهنها الكثير من الأفكار الغريبة ... ليس من المقبول بالطبع أن يكون المرء جاهلاً في هذه الأيام , ولكن للتعليم أوجهه المختلفة , من الجيّد أن تتقن الزوجة اللغة الفرنسية والألمانية وأن تتحدث بالعديد من اللغات, يُعتبر هذا بالفعل من الأمور الجيدة جداً ولكن ما الفائدة من ذلك إن لم يكن بإمكانها أن تُخيط زرّاً واحداً؟., أنا رجل من طبقة المثقفين وبإمكاني أن أقول بأنني أمضي مع الأمير كانيتلين الكثير من الوقت , لكن عاداتي بسيطة , لذا فأنا أرغب الزواج من فتاة ليست بالضرورة من طبقة اجتماعية رفيعة للغاية., وما أريده من زوجتي أكثر من أي شيء آخر هو أن تحترمني وأن تشعر بأنني جعلتها سعيدة بزواجي منها."

" هذا بالتأكيد."

" حسناً , والآن , بالنسبة لما يتعلق بالأمر الأساسي ... لست أرغب بزوجة ثرية.. ولن أنحدر إلى مستوى من يتزوج لأجل المال, كما أنني لا أريد أن تتولى زوجتي الإنفاق علي وإنما سأقوم أنا بالإنفاق على زوجتي وأريدها أن تعلم ذلك جيداً. لكنني لا أرغب أيضاً بزوجة فقيرة, فعلى الرغم من أن لدي ما يكفي من الموارد المالية , وبأنني لا أتزوج بدافع الجشع, ولكن ليس بإمكاني بذات الوقت أن أتزوج فتاة فقيرة ولأجل الحب فقط ... لابد أنك تعلمين بأن الأسعار في ارتفاع مستمر, وسوف يكون لدينا بعض الأطفال الذين علينا أن نتولى الإنفاق عليهم..."

قالت الخاطبة " وقد يجد المرء فتاة لديها بائنة (دوطة)."

" تفضلي , كأس أخرى من العصير. . . "

تلا ذلك خمس دقائق من الصمت.

ثم قالت الخاطبة وهي تتنهد :

" حسناً سيدي . . . لدي فتاة فرنسية وأخرى يونانية تمتلك كل منهما الكثير من المال فهل تقبل بأرملة؟

فكر الحارس لحظة ثم قال :

" لا شكراً . والآن هل بإمكاني أن أستفسر عن مقدار الأتعاب التي تطلبينها."

" لست أطلب الكثير من المال . أعطني خمسة وعشرين روبلاً , وما يلزم لشراء ثوب كما هي العادة, وسوف أكون شاكرة. . . لكن الحسبة سوف تكون مختلفة بالنسبة لموضوع الجهاز."

ضمّ ستايتشكين ذراعيه إلى صدره وغرق في تأمل صامت . ثم قال بعد تفكير وهو يتنهد :

" هذه تكلفة مرتفعة. . . "

قالت الخاطبة " ليس هذا بالكثير من المال سيدي ! ربما كان بالإمكان أن يتم الأمر بتكلفة أقل , لكن هذا في الأيام السالفة وعندما كان هناك الكثير من الزيجات, ولكن في هذه الأيام, ما هي المكاسب التي يحصل عليها المرء ؟ وحتى لو كنت تكسب خمسين روبلاً في الشهر الواحد فهذا ليس بالمبلغ الكبير , نحن الآن بالفعل لا نكسب الكثير من المال بترتيب الزيجات.

نظر إليها ستايتشكين بدهشة وهزّ كتفيه ثم همهم :

" هل تعتبرين الخمسين روبلاً مبلغاً ضئيلاً ؟"

لم يخطر ببالي قط ّبأن بإمكان المرء أن يحصل على مثل هذا المبلغ بمثل هذا العمل, خمسون روبلاً!... ليس بإمكان أي رجل أن يكسب من عمله مثل هذا المبلغ . تفضّلي اشربي العصير"

شربت الخاطبة العصير دفعة واحدة, بينما كان ستايتشكين في ذلك الوقت يتفحصّها بصمت من رأسها إلى قدميها ثم قال:

" خمسون روبلاً. . . هذا يعني ستمائة روبلٍ في العام. تفضلي اشربي المزيد من العصير. . . أتعلمين ليبوف غرغوريفنا , لن تجدي أنت أيضاً بمثل ما لديك من دخل , أية صعوبة في ترتيب زواج لنفسك."

ضحكت الخاطبة" زواج لأجلي؟ أنا الآن امرأة مُسنّة."

لا... على الإطلاق... "

قال ستايتشكين " لك ملامح جميلة كما أن وجهك مستدير وجميل كما أن كل شيء فيك...."

شعرت الخاطبة بالحرج وكان ستايتشكين قد شعر أيضاً بالحرج لكنه جلس إلى جانبها وقال:

" أنت لا تزالين جذابة, ولو التقيت بزوج عملي مستقيم ومقتصد فسوف تعيشان معاً بوضع جيّد جداً بالاعتماد على راتبه وبما تحصلين عليه أنت من مكاسب..."

قالت " ما الذي تقوله بحق الله؟"

"حسناً لم أقصد التنويه بما هو سيء؟"

ثم تلا ذلك فترة صمت أخرى, وكان وجه الخاطبة أثناء ذلك قد اصطبغ بحمرة قانية ثم نظرت إليه بحياء وسألته:

" ما مقدار راتبك الشهري؟"

" أجاب " أنا ؟ خمسة وسبعين روبلاً ماعدا الإكراميات. نحن نحصل على بعض المال الإضافي ببيع الشموع والأرانب الوحشية.

" إذن أنت تذهب للصيد؟"

" لا, لكننا نطالب من يسافرون بدون بطاقات سفر إعطائنا الأرانب البرية التي يصطادونها."

مرّت دقيقة صمت أخرى .ثم نهض ستايتشكين وبدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بحماس وقال:

" لست أرغب بزوجة شابة, فأنا رجل في منتصف العمر وأريد الزواج بامرأة... أريد الزواج من امرأة ... امرأة تكون مثلك. .... امرأة رزينة, هادئة, يكون شكلها شبيهاً بك. . . "

قهقهت الخاطبة وهي تخفي وجهها الشديد الحمرة خلف منديلها وقالت:

" يا إلهي ما الذي تقوله . . .؟"

"لا حاجة للتفكير مليّاً . ملكت قلبي وأنت تناسبينني تماماً بما لديك من خصال حميدة. أنا رجل عملي مستقيم

فلو كنت قد أعجبتك ... فما هو الأفضل من ذلك ؟ اسمحي لي بالتقدم بطلب الزواج منك."

زرفت الخاطبة دمعة وضحكت تعبيراً عن قبولها.

وقال حارس المحطة السعيد بعد ذلك:

" دعيني أشرح لك الآن أسلوب وطريقة الحياة التي أريدك أن تعيشيها معي... أنا رجل نظامي, جدّي, محترم وعملي أنظر إلى جميع الأمور بأسلوب مهذب, وأريد من زوجتي أيضاً أن تكون رزينة مثلي. كما أريدها أن تفهم بأنني صاحب الفضل عليها وبأنني أفضل شخص في العالم."

ثم جلس وبعد أن أطلق تنهيدة عميقة بدأ يقدم للعروس المُختارة شرحاً مفصلاً عن وجهة نظره عن الحياة الزوجية وعن واجبات الزوجة....

التعاسة

للكاتب أنطون تشيخوف

"لمن سأشكو حزني...؟"

كان ذلك في غسق المساء وكانت قطع كبيرة من الثلج الرطب تندفع بدوران بطيء حول مصابيح الشوارع التي أضيئت من وقت قصير , وتتوضّع على شكل طبقة ناعمة رقيقة , على الأسطح ,على ظهر الخيول , وعلى الأكتاف والمعاطف . كان سائق مركبة الجليد أيونا بوتابوف جالساً دون حراك على مقعد المركبة, مُحنياً رأسه إلى الأسفل وكانت الثلوج قد كسته الثلوج برداء أبيض بحيث أصبح أشبه بشبح . وحتى لو كان الثلج سيستمر بالتساقط عليه بمثل تلك الكثافة لما كان أيونا سيأبه بذلك ., كما أنه لن يجد بأن من الضروري أن ينفضه عنه... كانت فرسه الصغيرة التي اكتست أيضاً بالبياض تقف دون حراك, بحيث تبدو, بسكونها وبعظامها البارزة وقوائمها المستقيمة أشبه بلوحة رخيصة... على الأرجح أنها كانت أيضاً مستغرقة بأفكارها., فمن تم انتزاعه من جانب المحراث ومن المشهد الريفي الذي اعتاد عليه, لكي يتم إلقائه في هذا المستنقع المليء بالأضواء الهائلة وبالضجيج المتواصل لأشخاص يتراكضون حوله تحت الثلج, لابدّ أن يفكر...

مرّ وقت طويل دون أن يكون أيونا وفرسه قد تزحزحا من مكانهما. كانا قد خرجا إلى الساحة قبل موعد الغداء, لكنهما لم يحصلا حتى الآن ولا حتى على أجرة ركوب واحدة. بعد أن تحوّل ضوء مصابيح الشارع من لون باهت إلى لون أكثر تألقاً, وعندما بدأ صخب الشارع يُصبح أكثر جلبة, كان أيونا قد سمع صوتاً يُنادي:

" مِزلجة (عربة جليد) إلى فيبورغ كايا!."

نظر من خلال رموشه المَكسوة بالثلج وشاهد ضابطاً يرتدي معطفاً عسكرياً على رأسه قبعة.

ردّد الضابط مرّة أخرى:

"مِزلجة إلى فيبورغ كايا, أأنت نائم؟"

شدّ أيونا لجام الفرس إشعاراً بالموافقة, مما جعل قطع الثلوج تتطاير إلى كتفيه من ظهر الفرس. بعد أن صعد الضابط إلى العربة, ضرب السائق فرسه بالسوط ثم لوى عنقه أشبه ببجعة وصعد على مقعده., وكما لوت الفرس أيضاً عنقها وشدّت قوائمها وانطلقت.

ثم سمع أيونا على الفور صوت الضابط الذي كان يهتز إلى الأمام وإلى الوراء , يُعنفه بالقول:

" إلى أين تنطلق أيها الغبي؟ إلى أين أنت ذاهب؟ توجه إلى اليمين!" ثم قال بغضب " ألا تعرف كيف تتم قيادة العربة ! خذ يمينك."

ثم شتمه سائق آخر أثناء مروره إلى جانبه., وكانت الفرس قد لمست أثناء سيرها أحد المشاة مما جعله ينفض الثلج عن كمّه وينظر إليه بحنق. تململ أيونا على مقعد المركبة أشبه بمن كان جالساً على مقعد من شوك, وأخذ يُدير نظره حوله أشبه بمن أصيب بمسّ. لم يكن يدري إلى أين يتوجه ولِم كان هناك...

قال الضابط من جديد على سبيل الفكاهة :

" هذه نذالة منهم أليس كذلك ؟ هم ببساطة يحاولون الاصطدام بك أو الوقوع تحت حوافر الفرس. لابد أنهم يفعلون ذلك عن عمد!."

نظر أيونا إلى زبونه وحرك شفتيه. . . كان يرغب بأن يقول شيئاً, لكن كل ما فعله هو أن نفخ بأنفه.

سأله الضابط " ما الأمر؟"

ابتسم أيونا بمرارة ثم خرج صوته بجهد من صدره وقال بغصّة:

" سيدي , ابني . . . ابني ... مات ابني منذ أسبوع."

همهم الضابط ثم سأله ... ما سبب الوفاة ؟"

استدار أيونا بكامل جسمه إلى المسافر وقال :

" من يدري ! لابد أنها كانت الحمى. . . ظلّ ثلاثة أيام في المستشفى ثم مات. . . هذه إرادة الله."

ثم وصل إلى مسامعه صوت في الظلام يقول:

"اخرج أيها الحقير, هل أصبت بمسّ من الجنون, أنت أيها الكلب العجوز, انظر إلى الطريق الذي تتجه إليه.

بينما قال الضابط " استمر في طريقك, استمر في طريقك, بهذا الشكل لن نصل إلى هناك قبل الغد. أسرع... أسرع!."

طقطق سائق عربة الجليد عنقه من جديد وتململ على مقعده, ونظر عدة مرات إلى الضابط لكن الأخير ظلّ مُغمض العينين ولم يكن على ما يبدو يرغب بالإصغاء إلى ما كان السائق يرغب بأن يرويه له.

بعد أن أوصل أيونا مسافره إلى فيبورغ سكايا , توقف في أحد المطاعم ثم عاد وربض من جديد على مقعد المركبة لكي ينتظر أن بحالفه الحظ بقدوم بعض المسافرين... كان الثلج الرطب قد كساه من جديد كما كسا فرسه بحلّة بيضاء. مرّت ساعة ثم ساعة أخرى وهو لازال ينتظر إلى أن جاء إليه ثلاث شبان اثنان منهما من طوال القامة بينما كان الثالث قصير القامة ومُحدودب الظهر. كانوا يتشاجرون بصوت مرتفع ويضربون الطريق بأحذيتهم الثقيلة.

صاح به الأحدب بصوت أجش :

" أيها السائق, عليك أن تنقلنا إلى جسر الشرطة. عشر روبلات لثلاثتنا . ليس هذا بالمبلغ الضئيل. . . أتفهم , عشر روبلات فقط لثلاثتنا.

ضرب أيونا ظهر الحصان بسوطه إيذاناً بالتحرّك . لم تكن الروبلات العشر بالأجرة الجيّدة , لكن أفكاره لم تكن مستغرقة بذلك , كما لم يكن يولي الأمر أية أهمية حتى لو كانت الأجرة روبلاً واحداً أو خمس روبلات , مادام قد حصل على فرصة نقل بعض المسافرين .

جلس الرجال الثلاثة في العربة وهم لا يزالون يتدافعون ويتحدثون فيما بينهم بلغة بذيئة, كان الإشكال الذي يحتاج إلى حلّ هو من سيكون عليه أن يجلس ومن الذي عليه أن يظلّ واقفاً ؟ ثم كانوا بعد مشاحنة طويلة تمت بمزاج سيء وبشتائم بذيئة , قد توصلوا إلى قرار بأن على الشاب الأحدب أن يظل واقفاً لأنه أقصرهم قامة .

ثم قال الأحدب بصوته الأجش بعد أن ركزّ وقفته وهو يتنفس فوق عنق أيونا:

" حسناً انطلق إلى لأمام!. ولكن ما هذا اللباس الذي ترتديه يا صديقي ؟ ألم تجد ما هو أسوأ منه في كل بطرسبرغ...."

قال أيونا وهو يحاول التظاهر بالضحك :

" ليس فيه ما يمكن أن أتفاخر به أليس كذلك ؟"

قال الأحدب " حسناً, ما دام ليس فيه ما يمكن التفاخر به, كل ما عليك أن تستمر في القيادة!. هل ستقود العربة طوال الطريق بهذه الطريقة ؟ أتريد لأن تتلقى ضربة على عنقك؟

ثم قال أحد الشابين الطويلي القامة :

" رأسي تؤلمني كنت قد شربت كثير ليلة الأمس ؟."

وقال الشاب الآخر بحنق:

" لست أدرى لِم تتحدث بمثل هذا الهراء, أنت تكذب كأي شخص غبي."

" هذه هي الحقيقة...."

" هي الحقيقة مثل هذا السعال الكاذب"

قال أيونا وهو يبتسم ابتسامة عريضة " رجال يتسمون بالمرح !"

ثم قال له الأحدب بسخط :

" لعنة الله عليك, ألن تنشغل بعملك؟ أهذه طريقة القيادة , اضرب الفرس بالسوط . اضربها جيداً"

وكان أيونا في ذلك الوقت يشعر بملامسة جسد ذلك الأحدب لظهره ويسمع صوته المرتعش وهو يكيل إليه الشتائم, مما جعل شعوره بالوحدة يتزايد شيئاً فشيئاً ويصبح أكثر ثقلاً على قلبه. استمر الأحدب بشتمه وبإطلاق مختلف الألقاب الغريبة عليه, إلى أن اختنق صوته وتغلّب عليه السعال. بينما بدأ زميلاه يتحدثان عن ناديا ذاديا بيتر وفنا.

انتظر أيونا إلى أن تكون هناك فترة توقف قصيرة, ثم استدار إليهما من جديد وقال:

" مات... مات ولدي ... مات ولدي منذ أسبوع!"

قال الأحدب بتنهيدة وهو يُجفف شفتيه من السعال . سوف نموت جميعاً . . . هيا استمر في قيادة العربة, استمر!.. أيها الرفاق! ببساطة , لم يعد بإمكاني أن أحتمل مثل هذا السير البطيء! بحق الله , متى سيكون بإمكانه أن يوصلنا إلى هناك ؟"

"حسناً, عليك أن تعطه بعض التشجيع بصفعة على العنق!"

قال الأحدب " أتسمع أيها النتن ؟ سوف أجعلك أفضل, لو كان على المرء أن يحتمل مثل سلوكك هذا لكان من الأفضل له أن يمشي. هل تسمع أنت أيها التنين العجوز؟ أم أنك لا تهتم بفهم ما نقوله؟

ثم سمع منهم أيونا ما جرح مشاعره أكثر مما كان سيشعر به لو كان قد تلقى صفعة على خلف عنقه. لكنه تظاهر بالضحك " هي...هي... سادة يحبون المزاح... ليمنحكم الله الصحة!."

سأله أحد الشابين الطويلي القامة "أأنت متزوج؟" ثم

" أنا ! أيها السادة . الزوجة الوحيدة بالنسبة إلي الآن هي الأرض الرطبة... هي القبر! . . . مات ولدي وأنا لازلت حيّاً. . . هذا أمر غريب, لابد أن الموت كان قد طرق الباب الخطأ... فبدلاً من يأتي إليّ كان قد ذهب إلى ولدي..."

وعندما استدار أيونا إليهم لكي يروي لهم كيف مات ولده, وفي هذه النقطة بالذات , كان الأحدب قد أطلق تنهيدة ضعيفة وقال:

"شكراً لله ! ها قد وصلنا أخيراً ."

وبعد أن أخذ العشرة روبلات , تابع بنظره أولئك الشبان الذين لم يكن لديهم ما يأسفون لأجله , ولفترة طويلة إلى أن اختفوا في مدخل مظلم.

ها هو بمفرده وبوحدته من جديد وها هو الصمت يُطبق من جديد على كل ما حوله. . . عاد إلى ما كان عليه من الأسى الذي كان يشقّ نياط قلبه, لكن حزنه كان قد أصبح الآن أكثر قسوة من أي وقت مضى... ألقى نظرة تائهة قلقة من اللهفة والمعاناة على تلك الحشود الهائلة من البشر الذين كانوا يتنقلون جيئة وذهاباً على طرفي الشارع وتساءل:

" أليس بإمكانه أن يجد بين أولئك الآلاف من قد يستمع إليه ؟ لكن الجموع ظلّت تتنقل بسرعة من حوله بعدم مبالاة ولم يكن بينهم من يكترث بما فيه من تعاسة... كانت تعاسته هائلة وفوق طاقة الاحتمال ... فحتى لو كان قلبه سينفطر الآن, وحتى لو كانت تعاسته سوف تفيض منه وتُغرق العالم بكامله... كانت قد احتلت مكاناً خَفياً في قلبه بحيث لم يكن هناك من قد يعثر عليها فيه حتى لو كان ذلك بواسطة مصباح وبوضح النهار...

" لمن سأشكو حزني؟..."

يرى الله الحقيقة، لكنه ينتظر...

للكاتب ليو تولستوي

كان من بين سكان بلدة فلاديمير، تاجر شاب يُدعى إيفان ديميتريش أكسيونوف. يمتلك ذلك التاجر متجرين ومنزلاً خاصاً به. وهو رجل وسيم، أشقر, جَعد الشعر، كثير المرح، مولع جداً بالغناء. كان أكسيونوف في شبابه يشرب بإفراط ، وعندما كان يشرب بإفراط , كان يتحوّل إلى شخص مُستهتر، لكنه أقلع عن الشراب بعد زواجه ، ماعدا في بعض الأحيان.

وذات صيف، بينما كان أكسيونوف يُودّع عائلته قبل توجّهه إلى معرض في بلدة نيزني، قالت له زوجته:

"إيفان ديميتريش، لا تنطلق اليوم في رحلتك ، حلمت بك حلماً سيئاً."

ضحك أكسيونوف وقال " لابد أنك تخشين أن أسرف في الشراب عندما سأصل إلى المعرض."

وأجابته زوجته " لست أدري ما الذي أخشى منه ، كل ما أعرفه هو أنني حلمت بك حلماً سيئاً. حلمت بأنك عندما عدت من البلدة، وخلعت قبعتك، نظرت إليك ووجدت بأن شعرك أصبح بكامله أشيباً"

ضحك أكسيونوف وقال لها "هذه شارة حظّ ، سوف ترين كيف سأبيع كل ما لدي من بضائع ،وسوف أجلب لك أيضاً بعض الهدايا من المعرض."

ثم ودّع عائلته وانطلق في رحلته.

بعد أن اجتاز أكسيونوف نصف مسافة الطريق التقى بتاجر يعرفه. أقاما تلك الليلة في ذات النزل ., تناولا الشاي معاً ثم ذهب كل منهما إلى فراشه في غرفتين مُجاورتين.

لم يكن من عادة أكسيونوف أن ينام إلى ساعة مُتأخرة، وبما أنه كان يرغب أيضاً بالسفر أثناء برودة الطقس، كان قد أيقظ سائقه قبل الفجر وطلب منه أن يُسرج الخيول ويستعدّ للسفر. ثم ذهب إلى صاحب النَزل, الذي يُقيم في كوخ صغير وراء المخزن وسدّد فاتورته واستمر في رحلته.

وبعد أن قطع مسافة تُقارب الخمسة وعشرين ميلاً توقّف لإطعام الخيول. أخذ قسطاً من الراحة في رواق النزل ثم خرج إلى الشرفة وطلب إبريقاً من الشاي الساخن، ثم أخرج قيثارته وبدأ يعزف عليها.

ثم كانت سيارة عسكرية قد اندفعت فجأة إلى النزل بأجراسها الرنانة , وترجّل منها أحد الضباط يتبعه اثنان من الجنود. تقدّم الضابط من أكسيونوف وبدأ يستجوبه. سأله من يكون ومن أين أتى.. وبعد أن أجاب أكسيونوف على جميع الأسئلة التي وجهها إليه الضابط قال له :

"ألن ترغب بتناول بعض الشاي معي؟"

لكن الضابط استمر في استجوابه وسأله:

" أين أمضيت الليلة الماضية ؟ هل كنت وحدك أم مع تاجر زميل؟"

تساءل أكسيونوف عن سبب توجيه كل تلك الأسئلة إليه ، لكنه وصف للضابط كل ما جرى وبالتفصيل، ثم أضاف

" لِم تستجوبني بهذا الشكل، وكأنني لصّ أو قاطع طريق؟ فأنا في رحلة عمل تخصّني، وليس هناك ما يستدعي استجوابي!"

لكن الضابط استدعى الضابط الجنود وقال له :

" أنا الضابط المسؤول عن هذه المقاطعة، وأنا أستجوبك لأن التاجر الذي أمضيت معه ليلة أمس وُجد مذبوحاً هذا الصباح، ويجب أن نُفتش أمتعتك."

ثم دخل الجميع إلى النزل, حيث قام الضابط والجنود بتفكيك جميع أمتعة أكسيونوف وبتفتيشها, وفجأة سحب الضابط سكيناً من حقيبته وصاح:

" لمن هذه السكين ؟"

نظر أكسيونوف، وعندما شاهد السكين المُلطخة بالدماء التي أخرجها الضابط من حقيبته أصيب بالفزع.

ثم سأله الضابط " كيف جاءت هذه الدماء إلى السكين؟"

حاول أكسيونوف الإجابة، ولكن لم يكن بإمكانه أن يتفوّه حتى بكلمة واحدة، وإنما تمتم فقط :

" لست أدري, ليست لي, ليست لي."

ثم قال الضابط " تم العثور هذا الصباح على ذلك التاجر مذبوحاً في سريره، وأنت الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون قد فعل ذلك. كان النزل مُقفلاً من الداخل ولم يكن فيه أحد سواك. هذه السكين المُلطّخة بالدماء التي أخرجناها من حقيبتك، ووجهك، وطريقة تصرفك، جميعها من الدلائل التي تُدينك. أجبني ، كيف قتلته؟ وما هو المبلغ الذي سرقته منه؟"

أقسم أكسيونوف للضابط بأنه لم يفعل ذلك، وبأنه لم يكن قد شاهد ذلك التاجر ثانية بعد أن تناولا الشاي معاً، وبأن لا مال لديه سوى الثمانية آلاف روبلٍ التي تخصّه، وبأن تلك السكين ليست له. لكن صوته كان مُتهدّجاً، وكان وجهه شاحباً، وكان يرتجف من شدة الخوف كما لو أنه كان مذنباً بالفعل.

أمر الضابط الجنود بشدّ وثاق أكسيونوف وبوضعه داخل العربة، وكان أكسيونوف في الوقت الذي كان فيه الجنود يُكبّلون قدميه ويزجونه داخل العربة، يُصلي فقط ويبكي... ثم تمت مصادرة بضاعة أكسيونوف وجميع أمواله, وتم إرساله إلى أقرب مدينة وسجنه فيها.

وعندما أجريت التحريات عن إيفان أكسيونوف في بلدة فلاديمير قال بعض التجار من المقيمين في البلدة ، بأنه رجل طيب لكنه كان في الماضي يشرب بإفراط ويُبدّد وقته... وبذلك تمت محاكمته بجريمة قتل التاجر القادم من رايزان وبسرقة عشرين ألف روبلٍ منه, وتمت إدانته بتلك الجريمة.

أصبحت زوجته بحالة من اليأس الشديد، ولم تكن تعلم ما الذي عليها أن تُصدّقه. كان جميع أولادها صغار السن، أحدهم لايزال رضيعاً، لذا اصطحبت جميع أولادها وذهبت للعيش في المدينة التي سُجن فيها زوجها.

لم يُسمح لزوجة أكسيونوف بزيارته في الفترة الأولى، إلى أن استطاعت أخيراً ، وبعد الكثير من التوسلات، أن تحصل من المسؤولين على إذن بزيارته. ولكن عندما تم اصطحاب زوجة أكسيونوف إليه وشاهدته بثياب السجن , مُحتجزاً مع اللصوص والقتلة والقيود في يديه، أغمي عليها، ولم تَستعد وعيها إلا بعد فترة طويلة. كانت بعد ذلك قد عانقت زوجها, وبعد أن تحدثت معه حول بعض الأمور العائلية, سألته عما جرى معه. روى لها أكسيونوف كل ما حدث. ثم سألته:

" ما الذي بإمكاننا أن نفعله الآن؟"

قال أكسيونوف " علينا أن نتقدّم بعريضة إلى القيصر لكي لا يسمح بموت رجل بريء."

لكن زوجته أعلمته بأنها كانت قد تقدمت بمثل تلك العريضة إلى القيصر إلا أنه لم يقبلها.

لم يُجبها أكسيونوف حينذاك وبدت عليه فقط علامات الاكتئاب .

ثم قالت له زوجته:

"لم يكن عبثاً ما رأيته في ذلك الحلم من أن شعرك أصبح بكامله أشيباً، هل تذكر ذلك؟ كان عليك ألا تسافر في ذلك اليوم."

ثم مرّرت أصابعها في شعره وقالت :

"فانيا الحبيب، قل لزوجتك الحقيقة، ألم تكن أنت من فعل ذلك؟"

قال أكسيونوف " فإذاً أنت أيضاً تشكين بي!.." ثم أخفى وجهه بين يديه وأجهش بالبكاء.

ثم جاء الجندي لكي يطلب من زوجته وأولاده المغادرة، وبذلك كان أكسيونوف قد ودّع عائلته للمرة الأخيرة...

كان أكسيونوف بعد مغادرتهم، قد استرجع الحديث الذي دار بينه وبين زوجته، وعندما تذكّر بأن زوجته أيضاً ساورها الشك به ، قال لنفسه:

" الله وحده من يعرف الحقيقة ، وهو وحده من يجب أن نلجأ إليه وأن نتوقع منه الرحمة."

ولم يتقدم أكسيونوف بعد ذلك بأية عرائض، وكان قد فقد كل أمل، وكان يصلّي فقط.

ثم حُكم على أكسيونوف بعد ذلك بالجلد وبالعمل في المناجم . تم جلده بالسياط ، وعندما شُفيت الجروح التي تسببت بها السياط ، تم نقله إلى سيبيريا مع غيره من المحكومين.

عاش إيفان أكسيونوف في سيبيريا كشخص مُدان لمدة ستة وعشرين عاماً. أصبح شعره بلون الثلج , وطالت لحيته وعلاها الشيب، وزال المرح الذي كان يتميّز به. كان يقف ببطء ويمشي ببطء، يتحدث قليلاً ولا يضحك على الإطلاق، لكنه كان يُصلي كثيراً.

تعلّم أكسيونوف في السجن صناعة الحِزم، واستطاع بذلك أن يحصل على بعض المال الذي اشترى به كتاب "حياة القديسين"., وكان يقرأ ذلك الكتاب عندما يكون هناك ما يكفي من الإنارة في السجن. كما كان يتلو الدروس الدينية في السجن أيام الأحد، ويُغني مع الكورس، لأن صوته كان لايزال جميلاً كالسابق.

كان أكسيونوف قد حصل على محبة المسؤولين في السجن لما كان فيه من حِلم ووداعة. كما حصل على احترام زملائه في السجن الذين أطلقوا عليه اسم "الجدّ" و "القدّيس"., وكان المُتحدث باسمهم كلما رغبوا بتقديم عريضة إلى سلطات السجن، كما كانوا يلجؤون إليه كلما

حدث نزاع بين المسجونين لكي يقوم بإعادة الأمور إلى نصابها، ولكي يعطي حكمه فيها . ولكن لم تعد تصله أية أخبار من عائلته، وبذلك لم يكن يعلم حتى فيما إذا كانت زوجته وأولاده على قيد الحياة .

وذات يوم , وصلت إلى السجن مجموعة جديدة من المحكومين. وبذلك تجمّع السجناء القُدامى حول السجناء الجُدد مساءً, وبدأ كل منهم يسألهم عن المدن والقرى التي قَدِموا منها وعن سبب إدانتهم. كما جلس أكسيونوف مع الآخرين بجانب القادمين الجُدد., وكان يستمع إلى أحاديثهم وهو يشعر بالإحباط.

وكان من بين أولئك السجناء، رجل في حوالي الستين من العمر، طويل القامة، قوّي البنية، ذو لحية بيضاء قصيرة مقصوصة بعناية. كان ذلك الرجل يروي للآخرين كيف تمّ توقيفه حيث قال:

"حسناً، يا أصدقاء، كل ما فعلته هو أنني أخذت حصاناً كان مربوطاً على عربة جليد (مِزلجة). وقد تم توقيفي واتهامي بالسرقة لهذا السبب. قلت لهم بأنني أخذته لكي أصل إلى بيتي بسرعة ، وبأنني تركته بعد ذلك، كما قلت لهم بأن السائق هو بالإضافة إلى ذلك من أصدقائي الشخصيين، لذا قلت لنفسي "لا ضَير من ذلك." لكنهم قالوا لي " كلا، لقد سرقته." لكنهم لم يتمكنوا من معرفة كيف أو أين تمّ ذلك؟... وعلى الرغم من أنني كنت ذات مرّة قد ارتكبت عملاً شائناً بالفعل، وكان عليّ حينئذ أن أكون هنا بحقّ ومن زمن طويل، لكن الحقيقة لم تكن قد اكتشفت في ذلك الوقت. وقد تم إرسالي إلى هنا الآن دون سبب... إيه!... ثم قال :

" كل ما رويته لكم كان من الأكاذيب ... الحقيقة أنني كنت قد جئت سابقاً إلى سيبيريا، لكنني لم أمكث فيها لمدة طويلة."

سأله أحدهم "من أين أنت؟"

"من فلاديمير، عائلتي من تلك البلدة، واسمي ماكار ويُنادونني أيضاً باسم سيميونيتش."

رفع أكسيونوف رأسه حينئذ وقال:

"أعلمني سيميونيتش، هل تعرف شيئاً عن التجّار أكسيونوف من بلدة فلاديمير؟ وهل لازالوا على قيد الحياة؟"

أجاب " أتسأل فيما إذا كنت أعرفهم؟ أنا أعرفهم بالطبع ، هم من التجار الأغنياء، رغم أن والدهم في سيبيريا، هو على ما يبدو محكوم مثلنا! وأنت يا جدّي، كيف جئت إلى هنا؟"

لم تكن لدى أكسيونوف أية رغبة في التحدّث عن سوء طالعه، لذا اكتفى بالقول وهو يتنهّد :

"جئت إلى هنا بسبب ما ارتكبته من خطايا، وأنا هنا منذ ستة وعشرين عاماً."

سأله ماكار سيميونيتش "وماهي تلك الخطايا؟"

لكن أكسيونوف اكتفى بالقول "حسناً، حسناً، لابد وأنني أستحق ذلك." ولم يضف أي شيء آخر.

لكن رفاقه أعلموا القادمين الجدد كيف جاء ذلك الرجل إلى سيبيريا، وكيف أن أحدهم كان قد قتل تاجراً ودسّ السكين بين أمتعته، وبأن إيفان أكسيونوف سُجن ظلماً.

عندما سمع ماكار سيميونيتش ذلك نظر إلى أكسيونوف، وضرب بكفّه على ركبته وقال:

"حسناً، هذا مدهش! هذا مدهش حقاً! ولكن كم تبدو الآن أكبر سناً، يا جدّي!"

سأله الآخرون حينئذ عن سبب دهشته، وعن المكان الذي كان قد شاهد فيه أكسيونوف قبل ذلك، لكنه لم يُجب., وإنما قال فقط " من المدهش أن نلتقي هنا أيها الرفاق!"

وكانت تلك الكلمات قد جعلت أكسيونوف يتساءل فيما إذا كان ذلك الرجل يعرف الشخص الذي قتل التاجر، لذا قال له :

" قد تكون سمعت بتلك القضية سابقاً، سيميونيتش، أو قد تكون قد رأيتني سابقاً؟"

"كيف لم أسمع بذلك؟ العالم مليء بالشائعات، لكن وقت طويل قد مرّ الآن على ذلك, وقد نسيت ما كنت سمعته."

سأله أكسيونوف "ربما كنت قد سمعت باسم الشخص الذي قتل التاجر."

قال ماكار سيميونيتش وهو يضحك :

" لابد أنه الشخص الذي عُثر على السكين بين أمتعته! فلو كان شخص آخر قد أخفى السكين, فكما يقول المثل:

" ليس هو بالسارق إلى أن يتم القبض عليه" ولكن كيف سيكون بإمكان أي شخص أن يضع سكيناً في حقيبتك، وأنت نائم وهي تحت رأسك ؟ كان ذلك سوف يوقظك من نومك بالتأكيد..."

عندما سمع أكسيونوف تلك الكلمات , تأكّد من أن ذلك الرجل هو الشخص الذي كان قد قتل التاجر, وبذلك نهض وغادر المكان.

ظلّ أكسيونوف مستيقظاً طوال الليل. كان يشعر بتعاسة كبيرة، وقد تصاعدت في مخيّلته جميع أشكال الصور. إحداها الصورة التي كانت عليها زوجته عندما فارقها وهو في طريقه إلى المعرض. شاهد وجهها وعينيها كما لو أنها كانت ماثلة أمامه في تلك اللحظة، سمعها

وهي تتحدث وتضحك, ثم خُيل إليه بأنه يُشاهد أولاده، وهم صغار السن جداً كما كانوا عندما تركهم: كان أحدهما يرتدي معطفاً ، وكان الآخر لايزال رضيعاً على صدر أمه.

ثم تذكّر نفسه وكيف كان شاباً ومرحاً. وتذكّر كيف تم توقيفه بينما كان جالساً في شرفة النّزل يعزف على القيثارة، وتذكّر كم كانت حياته حينئذ خالية من الهموم. ثم شاهد في مُخيّلته المكان الذي تم جلده فيه، شاهد الجلاد والأهالي الذين كانوا يقفون حول المكان، والسلاسل، والمحكومين، وكيف كانت عليه حياته في السجن طوال الستة والعشرين عاماً، وكيف أنه قد تقدّم في السن قبل الأوان. وجعله تفكيره بكل ذلك يشعر بالتعاسة إلى الحدّ الذي أصبح فيه على استعداد لأن يقتل نفسه.

ثم حدّث نفسه :

" كل ذلك كان بسبب ما ارتكبه ذلك النذل!"

تصاعد حقده على ماكار سيميونيتش إلى درجة كبيرة، وشعر بالرغبة في الانتقام منه، حتى لو كان ذلك سيؤدي إلى هلاكه... ظلّ أكسيونوف طوال الليل يُردد الصلوات، لكنه لم يكن قد شعر بالسكينة.

وفي اليوم التالي لم يقترب أكسيونوف من مكان سيميونيتش، وحتى أنه لم يكن قد نظر إليه. ظلّ على تلك الحال لمدة خمسة عشر يوماً. لم يعد بإمكانه أن ينام ليلاً ، وكان بائساً لأنه لم يكن يدري ما عليه أن يفعله.

وذات ليلة، بينما كان أكسيونوف يتجوّل حول السجن، لاحظ بأن بعض الأتربة كانت تتدحرج من تحت إحدى المصاطب التي ينام عليها السجناء. توقف لكي يستطلع الأمر, وفجأة ظهر ماكار سيميونيتش أمامه وهو يزحف من تحتها ., ونظر إلى أكسيونوف بوجه يكسوه الفزع. حاول أكسيونوف المرور دون أن ينظر إليه، لكن سيميونيتش أمسك بساعده وأعلمه بأنه كان يحفر نفقاً تحت ذلك الجدار، وبأنه يضع الأتربة داخل جزمته لكي يتخلّص منها بعد ذلك، وبأنه يقوم يومياً بتفريغها على الطريق، عندما يتم نقل السجناء إلى أعمالهم.

ثم قال لأكسيونوف " كل ما عليك أيها العجوز أن تلتزم الصمت، وسوف تتمكن أنت أيضاً من الخروج من هنا، ولو أفشيت السر سوف يتم جلدي حتى الموت لكنني سوف أقتلك قبل ذلك."

ارتجف أكسيونوف لشدّة الغضب، نظر إلى عدوّه وسحب يده بعيداً عنه وقال:

"لست أرغب في الهرب، ولا حاجة لأن تقتلني، فقد قتلتني من زمن بعيد! ... أما بالنسبة لإفشاء سرّك فقد أفعل أو قد لا أفعل ذلك، وسوف يُرشدني الله لما سأفعله."

في اليوم التالي, وبينما كان السجناء يُساقون إلى العمل خارج السجن, لاحظ الجندي المرافق لهم بأن أحد السجناء كان يُفرغ من جزمته بعض الأتربة. تم بعد ذلك تفتيش السجن وبذلك تم العثور على النفق. ثم جاء مدير السجن وبدأ باستجواب جميع السجناء لمعرفة اسم الشخص الذي قام بحفر ذلك النفق. أنكر الجميع معرفتهم بذلك، وحتى لو كان منهم من يعرف ذلك فلم يكن ليُفشي ذلك السر لأن سيميونيتش كان سيُجلد حينذاك حتى الموت.

ثم التفت مدير السجن أخيراً إلى أكسيونوف الذي كان يُعرف بالشخص المستقيم وقال له :

"أنت العجوز الأكثر صدقاً هنا، قل لي أمام الله، من الذي قام بحفر ذلك النفق؟"

ألقى أكسيونوف نظرة عابرة إلى ماكار سيميونيتش وقال:

" أيها المحترم , ليس بإمكاني أن أقول. وهي إرادة الله ألا أتمكن من ذلك! وأنا بين يديك فافعل بي ما تشاء."

وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي قام مدير السجن، لم يكن أكسيونوف قد تفوّه بأكثر مما قاله وبذلك تم حفظ الموضوع.

وفي تلك الليلة، وبينما كان أكسيونوف مُستلقياً على فراشه وقد بدأ يغفو، جاء إليه شخص وجلس بجانب سريره بهدوء. أمعن أكسيونوف النظر في الظلام، وعرف بأنه ماكار.

سأله أكسيونوف "ما الذي تريده مني أكثر من ذلك؟ ولماذا جئت إلى هنا؟"

ظلّ ماكار صامتاً.

نهض أكسيونوف وقال له "ما الذي تريده؟ اذهب بعيداً عني، وإلا فسوف أستدعي الحارس!"

اقترب منه ماكار وركع بجانبه وهمس" إيفان ديميتريش، سامحني!"

قال أكسيونوف "على ماذا؟"

قال ماكار " أنا الذي قتلت التاجر ودسست السكين بين أمتعتك، وكنت أنوي أن أقتلك أنت أيضاً، لكنني سمعت ضجيجاً في الخارج، لذا قمت بإخفاء السكين في حقيبتك وبذلك كنت قد هربت من النافذة."

ظلّ أكسيونوف صامتاً، ولم يكن يدري ما الذي كان عليه أن يقوله. ثم ركع ماكار سيميونيتش على الأرض بجانب أكسيونوف وقال:

" إيفان ديميتريش، سامحني! سامحني بحق الله سوف أعترف بأنني كنت الشخص الذي قتل التاجر، وسوف يتم إطلاق سراحك، وستتمكن بذلك من العودة إلى بيتك!"

قال أكسيونوف :

"ما تقوله الآن يبدو سهلاً، لكنني عانيت بسببك لمدة ستة وعشرين عاماً. أين بإمكاني أن أذهب الآن؟... توفيت زوجتي، و نسيَني أولادي، وليس لدي أي مكان أذهب إليه..."

لم ينهض ماكار. وإنما ضرب رأسه على الأرض وقال وهو يبكي:

" سامحني إيفان ديميتريش, سامحني ! ...

قال أكسيونوف " لم يكن ما احتملته عندما تم جلدي بالسياط، أكثر صعوبة علي من أن أحتمل رؤيتك الآن." قال ما كار" ومع ذلك رأفت بحالي ولم تُفشِ سرّي. سامحني بحق الله. أنا بائس!" ثم أجهش بالبكاء.

وعندما سمع أكسيونوف بكاءه، بدأ هو أيضاً يبكي وقال له " ليسامحك الله، ربما كنت أسوأ منك بألف مرّة."

وكان أكسيونوف عندما تفوّه بتلك الكلمات قد أحسّ كأن قلبه قد أصبح أقل ثقلاً ، وبأنه تخلّص من ذلك الشعور بالحنين إلى بيته. وبأنه لم يشعر بأية رغبة بمغادرة السجن، وبأن كل ما يأمله فقط هو أن تدنو ساعته.

وكان ما كار سيميونيتش , على الرغم مما قاله إيفان أكسيونوف قد اعترف بذنبه. ولكن... عندما صدر أمر الإفراج عن أكسيونوف، كان قد فارق الحياة.

الشمعة

للكاتب ليو تولستوي

قرأت سابقاً ما ورد في الكتب المقدسة من أن:

" العين بالعين والأنف بالأنف والسنّ بالسنّ ... لكن من يُقاوم نَزغ الشيطان يفوز."

كان ذلك في زمن العبودية أي قبل عهد إسكندر الثاني بسنوات طويلة , وقبل قيام إسكندر الثاني في العام 1862 بتحرير ستة ملايين من الأقنان (القنّ هو العبد الذي يخدم في الأرض) العبيد .

كان من يحكم البشر في ذلك الوقت, عدد كبير من اللوردات الذين لم يكن الكثير منهم يذكر الله., كما لم يكن منهم من يعامل العبيد بأسلوب إنساني وإنما كان التعامل معهم يتم كما يتم التعامل مع الحيوانات المخصّصة لحمل الأثقال. وكان البعض الآخر من أولئك اللوردات نادراً ما قد يؤدي عملاً يتصف بالكرم...

لكن العدد الأكبر من أولئك الهمجيين المُستعبدين, كان ممن كانوا سابقاً من العبيد الذين تم تحريرهم, وممن نشؤوا في القذارة أو بين صفوف القرويين إلا أن أصبحوا نظراءً على أملاك النبلاء وعلى غيرهم من العبيد.

وكانت الطبقة الأخيرة قد حّولت حياة من لم يُسعفهم الحظ بأن أصبحوا تحت إمرتها, وبالمعنى الحرفي, إلى عبء ثقيل.

كان من السائد وفق القوانين أن يتم إلزام القرويين بالعمل بالسِخرة في أملاك أسيادهم لعدد مُحدد من أيام الأسبوع.

كانت الأراضي شاسعة المسافات, ذات تربة غنية خصبة تتوفر فيها الكثير من الموارد المائية., وتنتشر فيها المروج والغابات بما كان يكفي لتأمين وسائل العيش لجميع القرويين من ناحية ولأسيادهم من ناحية أخرى...

كان أحد أولئك النبلاء قد كلف أحد القرويين ويدعى ميخائيل , بالعمل ناظراً على أملاكه. ولكن لم يكد يُعهد إلى ذلك القروي بسلطة إدارة من تم استخدامهم مُجدداً إلا وكان قد بدأ بممارسة أكثر الأساليب قسوة ووحشية على العبيد البؤساء الذين أصبحوا تحت إمرته... وعلى الرغم من أن ذلك الرجل كانت له زوجة وابنتين متزوجتين, ورغم أنه كان يكسب الكثير من المال, بحيث كان بإمكانه أن يعيش بكل سعادة ودون أية انتهاكات لتعاليم الله أو لحقوق الإنسان., إلا أن نفس ميخائيل كانت قد امتلأت تجاههم بالحسد والغيرة وبذلك كان قد هبط بعمق إلى ارتكاب الآثام...

بدأ ميخائيل سيمونوفيتش اضطهاده لمن كانوا تحت إمرته, بأن أجبرهم على الخدمة في أملاك النبيل لعدد إضافي من أيام أسبوع , وبأكثر مما تُلزمهم به القوانين., كما أقام حوضاً لتصنيع القرميد وأجبر جميع القرويين رجال ونساء على العمل الشاق فيه لكي يبيعه لصالحه .

وكان الأقنان ذات مرّة قد أرسلوا وفداً إلى موسكو لكي يُمثلهم ولكي يتقدم بالنيابة عنهم بشكوى إلى النبيل , يُطلعه فيها على ما يعانيه الأقنان من سوء معاملته لهم ., لكنهم لم يحصلوا على ما يُرضيهم., وبذلك عاد أولئك البؤساء من مهمتهم بخِفي حُنين وقد انفطرت قلوبهم من الأسى...

وكان مشرف العمال عندما علم بذلك قد قرّر الانتقام منهم لجرأتهم على تجاوزه, ولأنهم طلبوا من النبيل أن يُنصفهم. وبذلك كانت حياتهم, منذ ذلك الحين, قد أصبحت أسوأ بكثير من ذي قبل.

وحدث أن كان هناك أيضاً بين أولئك الأقنان بعض الخونة الذين كانوا لا يرتدعون عن اتهام زملائهم غدراً بإساءة التصرف , وممن كانوا ينثرون بذور التنافر والنزاع بين القرويين... وبذلك كان غضب ونقمة ميخائيل قد تصاعدا إلى حدّ كبير , مما جعل تابعيه يخشون منه على حياتهم ... وبذلك كان القرويون يهربون كلما مرّ ناظر العمال بالقرية ويختبئون كما قد يختبئ المرء من وحش كاسر..

وعندما أدرك ميخائيل ما يثيره في نفوس أولئك القرويين البؤساء من الخوف ومقدار ما كانوا فيه من خنوع , أصبح تعامله معهم أكثر قسوة وحقداً , مما جعل حياتهم أكثر قسوة نتيجة الإجهاد في العمل وسوء المعاملة إلى أن وصل بهم اليأس إلى محاولة استنباط الوسائل التي بإمكانهم بها أن يتخلصوا من مثل ذلك المسخ الهولة الذي لم يكن يتمتع بأي حسّ إنساني. وبذلك بدأ أولئك التعساء يُفكرون بطريقة تُحرّرهم من ذلك الجَور الذي لم يعد يُحتمل...

كانوا يعقدون الاجتماعات في أماكن سريّة للتحسر والندب على بؤسهم وللتشاور فيما بينهم حول الطريقة الأفضل للتصرف. ومن حين لآخر كان أكثرهم شجاعة يثور ويتوجه إلى

زملائه بهذه الطريقة :

" إلى متى بإمكاننا أن نسمح لمثل ذلك الوغد النذل بالسيطرة علينا ؟.. دعونا نضع على الفور حدّاً لذلك... من الأفضل لنا أن نموت من أن نعاني بهذا الشكل... من المؤكد أن قتل مثل هذا الشيطان, الذي هو بهيئة إنسان, لا يعتبر من الإثم...

وحدث أن انعقد أحد تلك الاجتماعات قبل عطلة عيد الفصح وفي الغابة التي كان ميخائيل قد أرسل إليها الأقنان لبناء فسحة بين مكانين لصالح النبيل مالك الأرض. كانوا قد اجتمعوا ظهراً لتناول وجبة الغداء ولعقد اجتماع للتشاور فيما بينهم. حيث قال أحدهم:

" لم لانترك العمل الآن؟ سوف نَهلك عما قريب. عملنا حتى الآن إلى حدّ الموت تعباً... ولم نحصل على أية فترة راحة لا أثناء الليل ولا أثناء النهار, لا نحن ولا نساءنا المساكين . ولو حدث أن كان ما قمنا به لا يتوافق تماماً ما يُرضيه فسوف يجد فيه نقيصة , ومن ثم قد يقوم بجلد البعض منا حتى الموت ... كما كان الحال مع سيمون الذي لم يمرّ وقت طويل بعد على موته ... كما وكان قد تم مؤخراً تعذيب أنيسم أيضاً حتى الموت... من المؤكد أنه لن بإمكاننا أن نحتمل أكثر من ذلك... "

وقال آخر " نعم , ما هي الفائدة من الانتظار ؟ دَعونا نتصرف على الفور. سوف يكون ميخائيل هنا هذا المساء ومن المؤكد أنه سوف يكيل لنا السِباب وبأنه سوف يشتمنا بشكل مخزٍ. دَعونا إذن ندفعه من فوق حصانه ونُنزل به ما يستحقه بضربة واحدة من الفأس, وسوف نُنهي بذلك ما نعيش فيه من البؤس., وبإمكاننا بعد ذلك أن نحفر حفرة كبيرة ندفنه فيها كالكلب ولن يعرف أحد ما حلّ به... علينا أن نتوصل الآن إلى اتفاق على الوقوف معاً وقفة رجل واحد وعلى ألا يخون أحدنا الآخر."

كان آخر المتحدثين هو فاسيلي مينايف وهو قروي عبد كان لديه ما يدفعه إلى الشكوى من المعاملة الوحشية أكثر من أي من زملائه العبيد ., ذلك لأن من عادة ناظر العمال أن يقوم بجلده بالسوط كل أسبوع وبكل قسوة ., كما كان قد أخذ منه زوجته وكلفها بالعمل طاهيةً لديه.

وبناء عليه, وفي الليلة التي تَلت ذلك الاجتماع في الغابة كان ميخائيل قد وصل إلى مسرح الأحداث على ظهر حصانه, و بدأ على الفور بالبحث عن أية نواقص في طريقة إنجاز العمل ثم تذمر من أن يكون أحد الأقنان قد قطع بعض أشجار الزيزفون وصاح بهم :

" كنت قد طلبت منكم عدم قطع أشجار الزيزفون, من الذي قام بذلك؟ أريد أن أعرف اسم المسؤول عن ذلك وعلى الفور ؟ وإلا فسوف يتم جلدكم جميعاً."

وبعد التحقيق, كان قد أُعتبر بأن المذنب هو أحد القرويين الأقنان ويُدعى سيدور, وبذلك كان ميخائيل قد صفعه بشدّة, كما قام بمعاقبة فاسيلي أيضاً بكل قسوة لأنه لم يكن قد أنجز القدر الكافي من الأعمال . وعاد السيّد (العبد) بعد ذلك إلى منزله على ظهر حصانه بكل أمان...

اجتمع العبيد ثانية في المساء حيث قال فاسيلي البائس :

" من أي نوع من البشر نحن ؟ نحن لسنا سوى جماعة من الطيور , لسنا رجالاً على الإطلاق !... فنحن نتفق على أن يقف كل منا بجانب الآخر ولكن عندما يحين وقت التصرف نهرب جميعاً ونختبئ."

"سوف أروي لكم الآن حكاية فيها ما يُماثل تصرّفكم هذا : كانت مجموعة من طيور الدوري قد تآمرت ضد صقر ولكن الجميع كانوا على الفور من ظهور الطير الجارح قد تسللوا واختبئوا في العشب., وكان الصقر قد اختطف أحد العصافير الدورية وأكله... جاء باقي الطيور بعد ذلك وعندما وجدوا أن أحدهم كان مفقوداً أخذوا يصرخون:

" سألوا من الذي قُتل ؟" أهو فانكا ؟ حسناً , لابد أنه يستحق ذلك!..."

"وأنتم أيها الأصدقاء تتصرفون بذات الطريقة تماماً. كان عليكم أن تحافظوا على وعودكم عندما قام ميخائيل بالتهجّم على سيدور؟ لِم لم تنهضوا كرجل واحد لكي تُنهوا حياته؟ ولكي تضعوا بذلك نهاية لما نعانيه من بؤس؟...,

كان لتلك الخطبة أثرها في جعل القرويين أكثر حزماً في عزمهم على قتل مراقب العمال ميخائيل ...

كان الأخير قد أعطى أوامره بأن عليهم أن يكونوا على استعداد للعمل في فلاحة الأرض أثناء عطلة عيد الفصح لكي يتم بدارها بحبوب الشوفان. وكان ذلك ما أصاب العمال بالحزن الشديد . وبذلك كانوا قد عقدوا اجتماعاً آخراً للتعبير عن سخطهم ونقمتهم وكان الاجتماع في منزل فاسيلي.

قال أحدهم " إن كان ميخائيل هذا قد نسي وجود الله, وإن كان سيستمر في ارتكاب هذه الجرائم بحقنا , فقد بات من الضروري وبكل صدق أن يتم قتله., وإلا فدعونا نَهلك فليس هناك أي فارق بين الأمرين. لكن تلك الخطّة البائسة كانت قد لقيت الكثير من الاعتراض من أحد الأقنان ويدعى بيتر ميخاليوف حيث قال :

"بريثرن, أنت تُخطط لارتكاب إثم كبير لأن إزهاق النفس البشرية من الأمور الخطرة للغاية. من السهل بالطبع أن يتم إنهاء حياة إنسان ولكن ما الذي سيحل بنفوس من سيرتكبون

مثل هذا العمل الشائن ؟... لو استمر ميخائيل بالتصرف نحونا على نحو ظالم كما يفعل الآن فسوف يعاقبه الله . أما نحن فكل ما علينا أيها الرفاق هو أن نصبر."

لم يكن لتلك التعابير المُسالمة أثرها في نفوس القرويين . كما كانت قد جعلت غضب فاسيلي يتصاعد حيث قال:

" بيتر يُردّد دوماً ذات القصة القديمة من الإثم قتل أي إنسان . من المؤكد أن القتل إثم., لكن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار نوع الرجل الذي نتعامل معه. كل منا يعلم بأن من الخطأ قتل رجل فاضل, ولكن حتى الله (عزّ وجل) كان سينتزع حياة مثل ذلك الكلب. فمن واجبنا , لو كانت لدينا أية محبة للجنس الإنساني أن نُطلق النار على كلب مسعور حتى لو كان علينا أن نعاني من الإثم لأننا لم نترك مثل ذلك الكلب حياً... وبناء عليه, فلو كان علينا أن نعاني على كافة الأحوال, فليكن ذلك لأجل مصالح الآخرين وسوف يشكروننا على ذلك... لكن لو ظللنا هادئين أكثر من ذلك فسوف تكون مكافأتنا الوحيدة هي الجلد بالسياط. أنت تتحدث بالسفاسف ميخاييف. لِم لم تفكر بالإثم الذي سوف نرتكبه لو كان علينا أن نعمل أثناء عطلة الفصح -- أنت بالذات سوف ترفض حينئذ أن تعمل .؟

أجاب بيتر " حسناً إذن ! لو كانوا سيطلبون مني أن أفلح الأرض أثناء عطلة عيد الفصح فسوف أقوم بذلك , لكنني لن أفعل ذلك بمحض إرادتي., وسوف يعلم الله (عزّ وجلّ) من الذي يأثم بذلك... وبناء عليه سوف يلقى المذنب ما يستحقه من عقاب, وعلينا ألا ننسى علاوة على ذلك بأنها سوف تكون إرادة الله..."

"بريثرن , أنا لست أدلي بوجهة نظري وإنما قانون الله ألا يقوم المرء بردّ الشر بالشر... وبالفعل فلو حاولت أن ترد الشر بالشر بمثل تلك الطريقة فسوف يرتد عليك بما هو أكثر قسوة -- ليس من العسير عليك أن تقتل إنساناً لكن دمه سوف يلطخ روحك بالتأكيد... قد تعتقد أنك قتلت رجلاً شريراً -- وبأنك تخلصت بذلك من الشر -- لكنك ستكتشف بسرعة بأن عدداً أكبر من بذور الشر قد زُرع فيك, ولو أذعنت للشرّ فسوف يصيبك بالتأكيد.

لم يكن هناك من لم يكن قد تعاطف مع بيتر من بين أولئك القرويين الأقنان البؤساء ., وبذلك كانوا قد انقسموا إلى مجموعتين: التابعون لفاسيلي وأولئك الذين تبنّوا وجهة نظر ميخاييف.

لم يكن قد تم أنجاز أي عمل صباح يوم أحد الفصح . ولكن عندما اقترب المساء جاء رسول من قصر النبيل إلى القرويين وقال:

" يأمركم مشرف العمال بالذهاب غداً لفلاحة الحقل لأجل البذار."

وهكذا كان المسؤول عنهم قد جال من جانب لآخر في القرية ووجه القرويين بالاستعداد للعمل في اليوم التالي. البعض منهم إلى جانب النهر والآخرون إلى جانب الطريق.

كاد الحزن يقهر القرويين, وزرف أكثرهم الدموع لكنهم لم يجرؤوا على عصيان أوامر سيدهم.

وفي صباح أحد الفصح وبينما كانت أجراس الكنائس تقرع وتستدعي السكان لأداء الطقوس الدينية , وبينما كان الجميع يستعدون للاستمتاع بالعطلة, كان الأقنان البؤساء قد بدؤوا بفلاحة الحقل.

نهض ميخائيل متأخراً في ذلك اليوم وبدأ يتجول حول المزرعة., وفي الوقت الذي كان فيه الأقنان قد أنهوا فلاحة الأرض وبدؤوا بارتداء ملابسهم استعداداً لذلك اليوم المجيد , كان ميخائيل وزوجته وابنته الأرملة (التي كانت تزورهم كعادتها في أيام العطل) قد عادوا من الكنيسة. كان ساماوار الشاي الساخن بانتظارهم, وبعد أن بدؤوا باحتساء الشاي, أشعل ميخائيل غليونه ثم استدعى إليه كبير الخدم وقال له:

" حسناً, هل أبلغت الأقنان أوامري بأن تتم فلاحة الأرض اليوم؟"

وكانت الإجابة " نعم سيدي, فعلت ذلك"

"هل ذهب الجميع إلى الحقل؟"

"نعم سيدي., الجميع. وجهّتهم بنفسي عن المكان الذي عليهم أن يبدؤوا العمل فيه."

"هذا جيد جداً. كنت قد أعطيتهم الأوامر ولكن هل نفذوها؟ اذهب في الحال واستطلع الأمر ,و بإمكانك أن تقول لهم بأنني سوف أكون هناك بعد الغداء., علي أن أجدهم قد أنهوا فلاحة مساحة لا تقل عن الهكتار والنصف, ويجب أن يكون العمل قد أنجز بشكل جيد., وإلا فسوف تتم معاقبتهم بقسوة على الرغم من أنه يوم عيد."

" نعم سيدي, سوف أمتثل لأوامرك؟"

وبينما كان كبير الخدم على وشك المغادرة استدعاه ميخائيل من جديد . وقال له بعد تردد , ذلك لأنه كان قد يبدأ يشعر بكثير من القلق :

" بالمناسبة , استمع لما سيقوله أولئك الأنذال عني. لابد أن البعض سوف يشتمني, وأريدك أن تنقل إلي كل ما سيقولونه وبحذافيره... أنا أعلم مدى نذالتهم ولست راضياً على الإطلاق على عملهم... فهم يفضلون الاستلقاء طوال اليوم دون القيام بأي عمل. سوف يأكلون ويشربون ويحتفلون بالعيد, لكنهم ينسون بأن فلاحة الأرض إن لم تتم الآن فسوف يفوت أوانها. عليك الذهاب للاستماع لما يقولونه لكي تنقله إلي بكل حذافيره . اذهب على الفور."

" سوف أطيعك سيدي."

استدار كبير الخدم وامتطى حصانه وغادر . كان قد وصل بسرعة إلى الحقل الذي كان الأقنان يعملون فيه بكل مثابرة.

وحدث أن كانت زوجة ميخائيل ,التي كانت امرأة طيبة القلب جداً , قد سمعت الحديث الذي كان يدور بين زوجها وكبير الخدم. اقتربت منه وقالت:

" عزيزي ميشكا (تصغير لاسم ميخائيل) أتوسل إليك أن تأخذ بعين الاعتبار أهمية وقدسية يوم العيد هذا. لا ترتكب إثماً . ولتدع أولئك الأقنان المساكين يذهبون إلى منازلهم.

ضحك ميخائيل لكنه لم يستجب للمطلب الإنساني الذي اقترحته عليه زوجته. ونظراً لأنها كانت قد كرّرت ما قالته قال لها أخيراً:

" لم يتم ضربك منذ مدة طويلة , وهذا ما جعلك تتجرئين على التدخل بما ليس من شأنك."

أصرّت زوجته ثانية وقالت :

" ميشكا , حلمت حلماً سيئاً يخصّك., ومن الأفضل لك أن تدع الأقنان يذهبون إلى منازلهم."

قال لها زوجها " أرى بأنك أصبحت مؤخراً مكتنزة جداً وهذا ما جعلك تعتقدين بأن ضربات السوط لن تتسبب لك بالألم. انظري إلي!."

ثم ضغط بغليونه الملتهب على خدها بشدّة وطردها من الغرفة ... كان بعد ذلك قد طلب عشاءه., وبعد أن تناول وجبة شهية تتألف من حساء الملفوف, ومن اللحم المشوي ومن الكعك والحلويات مع الحليب الخ... نادى طاهيته وطلب منها أن تجلس أمامه لكي تغني بينما كان يرافقها بالعزف على الغيتار.

وفي الوقت الذي كان فيه ناظر العمال يستمتع بوقته بكل سرور, كان كبير الخدم قد عاد من مهمته . انحنى أمامه وبدأ يسرد له ما لديه من معلومات عما أنجزه الأقنان من عمل.

سأله ميخائيل " هل يقومون بفلاحة الأرض؟"

" نعم , وقد أنهوا فلاحة ما يقارب نصف الحقل؟."

"هل يتم الأمر دون أية أخطاء؟"

" نعم سيدي, بحسب ما تبيّن لي, تم العمل يتم بشكل جيد, هم بالتأكيد خائفون منك."

" كيف هي التربة؟"

" جيدة جداً. تبدو تربة خصبة."

ثم قال ميخائيل بعد فترة توقف " وما الذي يقولونه عني؟ هم يشتمونني كما أعتقد؟"

كان كبير الخدم قد تردّد بعض الشيء , لكن ميخائيل أمره بإعلامه بكل الحقيقة وقال:

"أعلمني كل ما سمعته وبالتفصيل, أريد أن أسمع ما قالوه بكل حذافيره. لو أعلمتني بالحقيقة فسوف أكافأك وأما لو أخفيت عني شيئاً فسوف أعاقبك . كاترين, اسكبي له كأساً من الشراب لتشجيعه على الكلام!."

بعد أن شرب كبير الخدم كأس الشراب بصحة سيده حدّث نفسه" لست المسؤول إن لم يمتدحونه "

ثم استدار فجأة إلى مشرف العمال وقال:

" سيدي, هم يتذمرون, يتذمرون بمرارة.."

سأله ميخائيل " ولكن ما الذي يقولونه؟"

" حسناً, من أحد الأشياء التي يقولونها أنك لست مؤمناً بالله."

ضحك ميخائيل وسأله " ولكن من الذي قال ذلك؟"

قال كبير الخدم " يبدو أن رأيهم بالإجماع أن الشيطان قد تغلّب عليك."

ضحك ناظر العمال من جديد وسأله " أريدك أن تعلمني بما يقوله كل منهم على حِدة. ما الذي قاله فاسيلي؟"

لم يكن كبير الخدم يرغب بخيانة زملائه, لكنه كان يُخفي في نفسه بعض الحقد على فاسيلي وبذلك قال :

" شتمك أكثر مما فعل الآخرون."

" ولكن ما الذي قاله؟"

" سيدي, من البغيض أن أكرّر ما قاله, قال... قال ... بأنك سوف تموت ميتة الكلب ما لم تكن لديك فرصة للتوبة!"

قال ميخائيل بغضب " أووه , لابد أن ذلك النذل سيقتلني لو لم يكن خائفاً ! . حسناً فاسيلي ,سوف يكون لك مني حساباً. ثم قال "أعتقد أن تيشكا كان قد نعتني أيضاً بالكلب؟"

" حسناً , تحدث عنك الجميع بكل ما ليس بعبارات المديح., لكن قد يكون من الوضاعة أن أكرر لك ما قاله الجميع ."

قال ميخائيل " عليك أن تعلمني بما قيل عني سواء أكان ذلك من الوضاعة منك أو لم يكن ؟"

" قال البعض بأن عليهم أن يكسروا ظهرك."

يبدو أن ميخائيل كان يستمع بشكل كبير بما يسمعه لأنه ضحك بدون تحفظ وقال:

" سوف نرى, سوف نرى من الذي سيكسر ظهر الآخر أولاً. وما الذي كان عليه رأي تيشكا ؟ لم أكن أتوقع منهم أن يقولوا أي شيء جيّد عني , لكنني لم أتوقع منهم مثل تلك الشتائم والتهديدات, وهل شتمني أيضاً ذلك المخبول بيتر ميكاييف؟"

" لا سيدي , لم يشتمك على الإطلاق. كان الوحيد من بينهم الذي ظلّ صامتاً. ميكاييف عبد حكيم جداً وهذا ما يدهشني منه كثيراً . كما أن تصرفاته كانت قد أدهشت الجميع."

" ما الذي فعله؟"

قام بما هو جدير بالملاحظة. كان يفلح الأرض بكل مثابرة, وعندما اقتربت منه وجدته يُغني بكل عذوبة. لكنني عندما نظرت بين سكة المحراث لاحظت بأن هناك شيء يلمع."

" حسناً ما هو ذلك الشيء؟ أعلمني بسرعة!"

كان ذلك الشيء شمعة , شمعة كانت تلمع دون أن تجعلها الريح تنطفئ. كان بيتر يفلح الأرض مرتدياً قميصاً جديداً وكان يُنشد أجمل الترتيلات . وكانت الشمعة قد استمرت في اشتعالها في جميع الأوضاع التي كان يُعمل بها المحراث في الأرض. كان بحضوري قد غرز المحراث في الأرض وقام برجّه بعنف, لكن الشمعة الصغيرة ظلت تلمع بهدوء بين أسنان المحراث دون أي تشويش...

" وما الذي قاله ميكاييف؟"

" لم يقل شيئاً -- ماعدا أنه هنأني بالعيد, ثم ذهب في طريقه وعاد من جديد للفلاحة . لم أقل له شيئاً لكنني عندما اقتربت من باقي الأقنان وجدتهم يضحكون ويسخرون من زميلهم الصامت و يقولون :

"ميكاييف , تُعتبر الفلاحة إثماً كبيراً في يوم أحد الفصح, ولن يكون بإمكانك أن تلقى الغفران حتى لو صليت طوال حياتك."

" ألم يجبهم ميكاييف بأي شيء؟"

"كان انتظر فترة طويلة ثم قال:

" لن يكون هناك سلام ولا قناعة على الأرض." ثم استمر في الفلاحة والغناء وكانت الشمعة لاتزال تشتعل وتلمع حتى أكثر من قبل."

عندما سمع سيمونوفيتش تلك العبارة توقف فجأة عن الهزل, ثم وضع سيجاره بجانب غيتاره وأطرق برأسه نحو صدره وغرق في التفكير, وبعد أن أمر الخدم والطاهية بالانصراف ذهب إلى سريره واستلقى عليه وأخذ يتأوه ويتنهد وهو في غاية الكرب والأسى. حينئذ جاءت إليه زوجته وبدأت تتحدث إليه بلطف. لكنه رفض الإصغاء إليها وهو يُردّد :

" انتصر علي وأصبحت نهايتي قريبة!"

قالت المرأة " ميشكا, انهض واذهب إلى الأقنان في الحقل ,لكي تطلب منهم العودة إلى منازلهم وسوف يكون كل شيء على ما يرام . وستكون بعد ذلك قد نجوت من مخاطر أكبر, تبدو الآن متوتراً ومضطرباً جداً."

لكنه رّدد من جديد " انتصر علي, وقد ضعتّ!"

سألته زوجته بغضب " ما الذي تعنيه بذلك. لو ذهبت وفعلت ما أشرت به عليك فلن يكون هناك أي خطر عليك. ثم أضافت بحنان" تعال ميشكا ,سوف أجعلهم يُسرجون لك الفرس على الفور."

ثم أقنعته بامتطاء الفرس لكي يقوم بما رجته القيام به بشأن الأقنان.

عندما وصل ميخائيل إلى القرية فتحت له إحدى القرويات الباب لكي يدخل. لكن جميع سكان القرية كانوا لدى مشاهدتهم ناظر العمال الذي يخشاه الجميع قد فروا واختبؤوا في بيوتهم وفي الحدائق وفي غير ذلك من الأماكن الآمنة.

وعندما وصل ميخائيل آخر الأمر إلى السياج الآخر وجده مغلقاً, وبما أنه لم يتمكن من فتحه بنفسه وهو على ظهر حصانه ,كان قد صاح بأعلى صوته طالباً المساعدة , ولكن لم يُستجب أحد لصياحه., لذا ترجل عن الفرس وفتح البوابة. ولكن ,عندما كان على وشك امتطاء الحصان مجدداً وكان قد وضع إحدى قدميه علي الركاب كانت الفرس قد فزعت من بعض الخنازير ووثبت فجأة إلى جهة واحدة مما تسبب في تعثر مشرف العمال وما أدى إلى سقوطه على طرف السياج., وإلى أن يخترق أحد الأوتاد الحادّة معدته وبذلك سقط على الأرض وفقد وعيه...

وعندما وصل الأقنان إلى سياج القرية قرب المساء, كانت امتنعت خيولهم عن الدخول من السياج. بحث القرويون حول السياج عن سبب امتناع الخيول عن الدخول, وبذلك اكتشفوا جثّة الناظر الميت ... كانت جثته مُلقاة على وجهه غارقة في حوض من الدماء في المكان الذي

سقط فيه... وكان بيتر ميكاييف الوحيد من بينهم الذي وجد ما يكفي من شجاعة للترجل من على حصانه والاقتراب من ذلك الشكل , في الوقت الذي كان فيه زملائه قد غادروا ودخلوا القرية عبر الطريق الذي يقع في الطرف الخلفي.

أغلق بيتر عيني الرجل الميت ووضع الجسد في عربة وأخذها إلى منزله...

وعندما علم النبيل بالحادث المشؤوم الذي تعرض له ناظر العمال لديه , واطلع على المعاملة الوحشية التي كان يتعامل بها مع من كانوا مرؤوسيه , كان على الفور قد أطلق الأقنان من عبوديتهم وتخصّص فقط بإيجار بسيط لقاء استخدامهم الأرض وغير ذلك من التسهيلات الزراعية.

وبذلك قد فهم القرويون بوضوح بأن قدرة الله على إنصافهم لم تكن قد تجلّت في الشرّ وإنما في الخير...

العصفور

للكاتب ليو تولستوي

كان ذلك يوم ميلاد سيروزا , وكان قد تلقى الكثير من الهدايا., بلابل , صقور صغيرة ولوحات , لكن عمّ سيروزا كان قد أعطاه هدية ثمّنها سيروزا أكثر من جميع الهدايا الأخرى ., كانت تلك الهدية شَركاً لاصطياد الطيور...

كان الشرك مُعّداً بالطريقة التي يتم بموجبها تثبيت لوحة خشبية على الإطار بحيث ينغلق من الجهة العليا. وبذلك عندما يتم نشر البذور على اللوحة الخشبية ويوضع الشَرك في الفناء فسوف يحطّ العصفور فوق اللوح الخشبي المُقلقل مما سيجعل الشِرك ينغلق عليه بصفقة واحدة ويحتجزه بداخله .

كان سيروزا في غاية الابتهاج ., ركض على الفور إلى المنزل لكي يُطلع والدته على ذلك الشرك.

لكن والدته قالت له :

"ليس الشرك باللعبة الجيّدة. ما الذي تريد أن تفعله بالعصافير؟ لِم ترغب بتعذيبهم ؟ "

قال سيروزا " سوف أضعهم في قفص لكي أطعمهم"

ثم جلب بعض البذور وبعد أن بعثرها على اللوح الخشبي., وضع الشرك في الحديقة ووقف بجانبه وانتظر أن تحطّ الطيور عليه . لكن الطيور كانت خائفة منه ولم تكن قد اقتربت من القفص.

ترك سيروزا القفص وركض إلى الداخل لكي يأكل شيئاً. وعندما عاد بعد العشاء لكي ينظر إليه , وجد أن القفص كان قد انغلق وكان بداخله عصفور صغير . كان العصفور المسكين يضرب القضبان محاولاً الخروج. حمل سيروزا القفص وبداخله العصفور إلى داخل المنزل وصاح :

" أمي , أمسكت بعصفور , أعتقد أنه عندليب, يا إلهي كم يخفق قلبه!"

قالت الأم "هذا كناري برّي , كن حذراً , لا تؤذه , من الأفضل أن تُطلقه."

قال سيروزا " لا, سوف أعطيه بعض الطعام والشراب."

وضع سيروزا العصفور في القفص, وكان ليومين يُعطيه الماء ويُطعمه البذور ويُنظف له القفص. إلا أنه كان في اليوم الثالث قد نسي كل شيء عن ذلك العصفور, ولم يقم حتى بتغيير الماء في القفص.

حينئذ قالت له والدته " أترى, ها قد نسيت عصفورك. من الأفضل أن تُطلقه."

أدخل سيروزا يده في القفص وأخذ يُنظفه, لكن العصفور الصغير كان خائفاً وبدأ يرتجف.

وبعد أن نظف سيروزا القفص ذهب لكي يجلب له بعض الماء... نادته والدته التي لاحظت بأنه نسي إغلاق باب القفص.

" سيروزا , أغلق القفص , وإلا فسوف يطير العصفور وقد يؤذي نفسه."

ولم تكد تتفوه بهذه الكلمات إلا وكان العصفور قد عثر على الباب وكان في غاية الابتهاج, نشر أجنحته وبعد أن حلّق حول الغرفة طار وخرج من النافذة.

لكن سيروزا كان بعد فترة قد عاد إلى الداخل وبيده العصفور., كان قد تمكن من التقاطه وبذلك أعاده إلى القفص.

كان العصفور لايزال حياً , لكنه عندما أعيد إلى القفص استلقى على صدره ونشر جناحيه حوله, وأخذ يتنفس بصعوبة. نظر إليه سيروزا وبدأ يبكي وسأل والدته :

" أمي , ما الذي بإمكاني أن أفعله الآن.؟"

أجابته " لم يعد بإمكانك أن تفعل شيئاً الآن."

ظلّ سيروزا واقفاً بجانب القفص طوال اليوم. ولم يكن يفعل شيئاً سوى النظر إلى ذلك العصفور . لكن العصفور ظلّ مستلقياً على صدره وكان يتنفس بسرعة وبصعوبة...

وعندما ذهب سيروزا إلى سريره تلك الليلة كان العصفور قد مات...

لم يتمكن سيروزا من الاستغراق في النوم في تلك الليلة. وكان كلما أغلق عينيه يُخيّل إليه بأنه يرى ذلك العصفور وهو لازال مستلقياً على صدره في القفص وبأنه كان يغني.

ولكن عندما ذهب سيروزا إلى القفص في صباح اليوم التالي, وجد العصفور مستلقياً على ظهره جثة هامدة برجلين متصالبتين.

وكان سيروزا بعد ذلك قد رمى الَشرك ولم يعد يُفكر باصطياد أي من العصافير...

الأمير السعيد

للكاتب أوسكر وايلد

ينتصب تمثال الأمير السعيد على عمود مرتفع في أعالي المدينة. كان ذلك التمثال مَطلياً بكامله بصفائح رقيقة من الذهب الصافي. عيناه من جوهرتي ياقوتٍ أزرق ساطع, وتتوهج على مِقبض سيفه ياقوتةٌ حمراء كبيرة.

كان ذلك التمثال بالفعل محطّ الكثير من الإعجاب.

حيث قال أحد أعضاء مجلس المدينة, وهو رجل يرغب بكسب سمعة أصحاب الميول الفنية:

" كم هو جميل ! يُشبه ديك الرياح" "

ثم أضاف, خشية أن يعتبر من الأشخاص غير العمليين , على الرغم من أنه لم يكن كذلك في الحقيقة:

"لكن ليست له أية فائدة ."

وقالت إحدى الأمهات الحكيمات لولدها الصغير الذي كان يبكي مطالباً بشيء يصعب تحقيقه:

" لِم لا تكون مثل الأمير السعيد؟ لم يكن الأمير السعيد يبكي لأي سبب."

وغمغم رجل خائب الرجاء, وهو يُحدّق في ذلك التمثال الرائع :

" أشعر بالسرور لأن هناك من هو سعيد بالفعل في هذا العالم."

وقال بعض الأطفال اليتامى, لدى خروجهم من الكاتدرائية, بثيابهم ذات اللون القُرمزي الساطع ومآزرهم البيضاء النظيفة .

"يبدو كالملاك."

سألهم مدرس الرياضيات حينئذ :

"كيف بإمكانكم معرفة ذلك؟ فأنتم لم تشاهدوا ملاكاً قطّ."

أجاب الأولاد "أووه , لكننا رأينا ملاكاً في أحلامنا ."

وكان مدرس الرياضيات قد قطب حاجبيه, وبدت عليه علامات الحزم, ذلك لأنه كان يستهجن أن يحلم الأطفال..

كان سنونو صغير قد حلّق ذات ليلة فوق المدينة. كان أصدقاؤه قد رحلوا إلى مصر قبل ستة أسابيع لكنه تخلّف عن الذهاب معهم, لأنه أغرم بأجمل قصبة مزمار كان قابلها في مطلع الربيع بينما كان يُطارد عثّة كبيرة صفراء اللون فوق النهر. كان السنونو الصغير قد انجذب إلى خصرها النحيل إلى الحدّ الذي جعله يتوقف للتحدث إليها. وبما أنه من النوع الذي يحب الوصول إلى هدفه بشكل مُباشر سألها:

"هل بإمكاني أن أحبك؟"

أجابته القصبة بانحناءة قبول قصيرة. حينئذ حلّق السنونو حولها مرات ومرات, ملامساً الماء بجناحيه, مُحدثاً بهما تموِّجات فضيَّة اللّون ... كان ذلك أسلوبه في التودّد إليها, واستمر ذلك طوال فصل الصيف.

كانت طيور السنونو الأخرى قد غرّدت وهي تقول:

" هذا ارتباط سخيف, فليس لديها أية أموال, كما أن لديها الكثير من العلاقات. في الواقع , النهر مليء بالقصبات. وكانوا قد طاروا جميعاً عندما حلّ فصل الخريف.

كان السنونو الصغير قد شعر بالوحدة بعد رحيل الطيور الأخرى , كما بدأ يشعر بالضجر من "السيدة حبيبته."

حدّث نفسه " لا تعرف كيف تتحاور معي , وأخشى بأن تكون كثيرة الدلال, كما أنها تُغازل الريح على الدوام., من المؤكد أنها سوف تنحني برشاقة كلما هبت الريح . أنا أتقبّل أن تكون أليفة, لكنني أحب السفر, وعلى زوجتي بالتالي أن تحب السفر مثلي..."

وكان في نهاية الأمر قد سألها "هل ترحلين معي؟"

لكن القصبة هزّت رأسها بالنفي, ذلك لأنها كانت مُتعلّقة جداً بموطنها.

وصاح السنونو حينئذ " فإذن أنت كنت تعبثين بي, وداعاً , سوف أرحل إلى الأهرامات ! " ثم طار بعيداً...

استمر السنونو الصغير في الطيران طوال اليوم , وكان قد وصل إلى المدينة عندما حلّ الليل. تساءل " أين سأحطّ ؟ آمل أن تكون المدينة قد اتخذت بعض الترتيبات لذلك."

ثم شاهد التمثال على ذلك العمود المُرتفع.

هتف " سوف أحطّ هنا, هذا موقع جيّد فيه الكثير من الهواء المنعش." وهكذا كان السنونو الصغير قد حطّ بين قدمي الأمير السعيد تماماً . حدث نفسه برضى وهو ينظر حوله ويستعد للنوم :

"لدي هنا غرفة نوم ذهبية ."

ولكن, وفي الوقت الذي كان فيه قد وضع رأسه تحت جناحه, سقطت عليه قطرة كبيرة من الماء. صاح

"يا للعجب! لا توجد حتى سحابة واحدة في السماء , كما أن النجوم صافية ولامعة تماماً, ومع ذلك يسقط المطر. الجو مخيف بالفعل في شمال أوروبا . كانت تلك القصبة أيضاً تُحب المطر, ولكن ذلك من أنانيتها فحسب..."

ثم سقطت عليه قطرة أخرى.

حدّث نفسه" ما فائدة التمثال إن لم يمنع عني المطر, عليّ أن أبحث عن كوز مدفأة جيّد " وقرّر الطيران بعيداً.

لكن قطرة ثالثة من الماء سقطت عليه قبل أن يفتح جناحيه. نظر إلى الأعلى, وشاهد ... آه... ما الذي شاهده ؟.

كانت الدموع تسيل من عيني الأمير السعيد على خديه الذهبيّين. كان وجهه جميلاً جداً بانعكاس ضوء القمر عليه مما جعل قلب السنونو الصغير يمتلئ بالشفقة عليه.

سأله " من أنت ؟"

"أنا الأمير السعيد "

سأله السنونو "فلِم تبكِ إذن ؟ بللتني تماماً بدموعك".

أجاب التمثال "عندما كنت على قيد الحياة وكان لي قلب إنسان, لم أكن أعرف ما هي الدموع. كنت أعيش في قصر " صان سوسي Sans Souci " أي القصر الذي لا يُسمح للهموم بالدخول إليه. كنت ألعب مع رفاقي في الحديقة طوال النهار, وكنت أقود حلقات الرقص في بهو القصر الكبير في المساء. كانت تلك الحديقة مُحاطةً بجدار شاهق, ولم أكن أهتم على الإطلاق بالسؤال عما يكمن وراءه, كان كل ما حولي في غاية الجمال., وكان رجال الحاشية

قد أطلقوا علي اسم "الأمير السعيد". كنت سعيداً بالفعل, هذا إن كانت المتعة تعني السعادة... وهكذا عِشت , وهكذا مِت.. وها قد نصّبوني الآن وأنا ميّت تمثالاً في هذا العلو لكي يكون بإمكاني أن أشاهد كل ما في مدينتي من قبح وشقاء,... وعلى الرغم من أن قلبي صُنّع من الرصاص, لكن لم يعد بإمكاني الآن سوى أن أزرف الدموع."

حدث السنونو نفسه "ماذا ؟ أليس قلبه من الذهب الصافي؟ لكن تهذيبه منعه من إبداء أية ملاحظة حول الأمر بصوت مرتفع .

استمر التمثال بالتحدّث بصوت موسيقي خافت:

" هناك بعيداً من هنا, في مكان بعيد جداً, منزل فقير في شارع صغير. إحدى نوافذه مفتوحة, بإمكاني أن أرى من خلال تلك النافذة امرأةً جالسة أمام طاولة. لتلك المرأة وجه نحيل يبدو عليه الإرهاق , يداها خشنتان, حمراوان, ومثقوبتان من وخز الإبر, هي خيّاطة تقوم الآن بتطريز زهور الحب على رداء من الساتان سوف ترتديه أجمل وصيفات الشرف للملكة في الحفل الراقص المُقبل الذي سوف يُقام في القصر.. بينما يضطجع ولدها الصغير المريض المصاب بالحمّى على فراش في ركن من الغرفة.. هو يطلب من والدته عصير البرتقال, ولكن ليس لدى والدته ما تُعطيه له سوى ماء النهر, لذا فهو يبكي.. أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, هل بإمكانك أن تحمل إليها الياقوتة التي تُزيّن مِقبض سيفي؟ قدماي موثقتان بهذه القاعدة, وليس بإمكاني أن أتحرك."

قال السنونو " ولكن هناك من ينتظرني في مصر. يطير أصدقائي الآن من أعلى إلى أسفل نهر النيل, ويتحدّثون مع زهرات اللوتس الكبيرة., وسوف يذهبون بعد قليل للنوم في مدفن الملك العظيم. الملك ذاته مُسجًّى هناك في تابوته المَطلي بالذهب, مُلتفاً بقماش من الكتان الأصفر اللون, مُعطّراً بالطيب, حول عنقه سلسلة من حجر اليَشم الأخضر الكريم, ويداه أشبه بالأوراق الذابلة.

قال الأمير "أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, ألن تبقى معي لليلة واحدة, وتكون رسولي إليهما؟ ذلك الولد يشعر بالعطش الشديد, وأمه بائسة جداً."

أجاب السنونو "لا أعتقد بأنني أحب الصِبية. فعندما مكثت بجانب النهر في الصيف الماضي, كان اثنان من الصبية الوقحين , من أولاد الطحّان, يرمياني دوماً بالحجارة. لكنهما لم يتمكنا من إصابتي بالطبع , لأن بإمكاننا نحن طيور السنونو أن نطير بعيداً بسرعة وبشكل جيّد جداً. كما أنني بالإضافة إلى ذلك أنحدر من عائلة تُعرف بخفتّها , لكن ما فعلاه كان يُشير إلى ازدراءهم لي ."

لكن علامات الحزن الشديد بدت بوضوح على وجه الأمير السعيد, مما جعل السنونو الصغير يأسف لحاله. وبذلك قال:

" البرد شديد هنا, لكنني سأبقى معك لليلة واحدة, وسوف أكون رسولك."

قال الأمير " شكراً لك , أيها السنونو الصغير."

وهكذا كان السنونو قد انتزع تلك الياقوتة الحمراء الكبيرة من سيف الأمير ., حملها بمنقاره وبدأ يُحلّق فوق أسطح مباني المدينة.

مرّ فوق برج الكاتدرائية, حيث تقع تماثيل الملائكة المنحوتة من المرمر الأبيض. ثم مرّ بجانب القصر, وسمع من هناك صوت نغمات الرقص. كانت فتاة جميلة قد خرجت إلى الشرفة مع حبيبها. قال لها حبيبها :

"كم تبدو النجوم رائعة, وكم هي رائعة قوّة الحب! ..."

وكانت قد أجابته " آمل أن يكون ثوبي جاهزاً في موعد الحفل الرسمي للمدينة. كنت قد طلبت تطريزه بزهور الحب لكن الخياطات كسولاتٍ جداً."

ثم اجتاز السنونو النهر, وشاهد المصابيح التي تتدلى على سواري السفن, ومرّ فوق حيّ اليهود, وشاهد كيف يزنّ اليهود العجائز المال في الموازين النحاسية, وكيف يُساوم كل منهم الآخر, إلى وصل أخيراً إلى ذلك البيت الفقير . نظر بداخله, كان الصبي يتقلّب في فراشه وهو محموم, وكانت أمه قد غفت بجانبه لشدة التعب. وثب السنونو إلى الداخل, وكان بعد أن وضع الياقوتة الكبيرة على الطاولة بجانب كشتبان الخياطة, قد حلّق برفق حول السرير وأخذ يرفرف بجناحيه حول جبين الصبي المريض وينشر حوله الهواء. حينئذ قال الصبي:

"كم أشعر بالانتعاش؟ يبدو أن صحتي قد بدأت تتحسن", ثم غرق في إغفاءة لذيذة.

ثم طار السنونو بعد ذلك عائداً إلى الأمير السعيد, وبعد أن أعلمه بما فعله قال :

" الغريب أنني أشعر الآن بالدفء رغم برودة الطقس."

قال الأمير:

" هذا لأنك كنت قمت بعملٍ صالح..."

بدأ السنونو الصغير يُفكّر , ثم خلُد إلى النوم. ذلك لأن التفكير كان يجعله يشعر دوماً بالنعاس.

وعندما طلع النهار, طار السنونو إلى النهر واغتسل فيه. وكان أستاذ علم الطيور قد شاهده وهو يمرّ فوق الجسر وقال:

" يا لها من ظاهرة مُميزة! سنونو في الشتاء؟ "

ثم سارع إلى كتابة مقالةٍ طويلة في الصحيفة اليومية حول تلك الظاهرة الغريبة., وكان الجميع قد أشادوا بها , رغم أن فيها الكثير من الكلمات التي لم يكن بإمكانهم فهمها.

وفي اليوم التالي حدّث السنونو نفسه " سوف أذهب

الليلة إلى مصر" وشعر بالابتهاج بما كان يتطلع إليه.

ثم قام بزيارة جميع النُصب التذكارية , وجلس لفترة طويلة فوق قمة برج الكنيسة. كانت عصافير الدوري في كل مكان يذهب إليه , تُزقزق وتقول لبعضها البعض :

"كم هو متميّز هذا الغريب!"

وبذلك كان السنونو الصغير قد أمضى وقتاً ممتعاً جداً.

وعندما طلع القمر, طار السنونو عائداً إلى الأمير السعيد. سأله بأعلى صوته:

" هل لديك ما تُكلفني به من مهام في مصر؟ سوف أنطلق الآن"

قال الأمير السعيد:

" أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, ألن تبقى معي لليلة واحدة أطول؟"

أجابه السنونو :

" لكنهم بانتظاري الآن في مصر. سوف يطير رفاقي غداً فوق الشلال الثاني . يضّجع هناك فرس النهر بين الأعشاب المائية, بينما يجلس الإله ميمنون على عرش كبير من حجر الصوّان لكي يرقب النجوم طوال الليل, وعندما ستظهر نجمة الصباح وتسطع في السماء , سوف يُطلق صرخة فرح ثم يصمت , كما أن الأسود الصفراء تأتي وقت الظهيرة إلى ضفة الماء لكي تشرب. لتلك الأسود عيونٌ تُشبه الأحجار الكريمة الخضراء اللون, ولها زئير أعلى من هدير الشلال."

قال الأمير السعيد:

"أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, أرى الآن في عليّة أحد المباني وفي مكان بعيد من الجانب الآخر من المدينة , شاباً يافعاً مُنحنياً على مكتبٍ تنتثر فوقه الأوراق, وبجانبه قدح بعض أزهار البنفسج الذابلة. لذلك الشاب شعْرٌ جَعد بُني اللون, وشفتان حمراوان بلون الرمان, عيناه واسعتان حالمتان., وهو الآن يُحاول إنهاء مسرحية طلبها منه مدير المسرح, لكنّه يشعر بالبرد الشديد مما يجعله يعجز عن الكتابة, فليس لديه نار ي موقده, وقد أغمي عليه لشدّة الجوع."

قال السنونو الطيّب القلب " سوف أبقى معك لليلة أخرى. هل آخذ له ياقوتة أخرى؟"

قال الأمير " يا للأسف ! لم تعد لدي أية ياقوتة , لم يتبق لدي سوى عينيَّ , وهما من الياقوت الأزرق النادر الوجود, الذي تم جلبه من الهند من آلاف السنين . اقتلِع إحداهما وخذها إليه. سوف يبيعها للجواهري وسوف يشتري بثمنها حطباً لموقده, وبذلك سوف يتمكن من إكمال مسرحيته."

قال السنونو " أيها الأمير العزيز, ليس بإمكاني أن أفعل ذلك " وبدأ يبكي.

قال الأمير "أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, رجاءً , افعل ما آمرك به"

وهكذا كان السنونو قد اقتلع عين الأمير, وطار بها إلى عليَّة ذلك الطالب . كان من السهل عليه الدخول إلى غرفته لوجود ثغرة في السقف., لذا اندفع من داخلها بسرعة إلى الغرفة. كان الشاب قد وضع رأسه بين يديه, وبذلك لم يكن قد سمع رفرفة أجنحة الطائر, لكنه عندما رفع رأسه ووجد تلك الياقوتة الزرقاء الجميلة بجانب أزهار البنفسج الذابلة.

هتف بسرور :

" يبدو أنني بدأت أحصل على التقدير, لابد أنها من أحد المُعجبين من ذوي القدر الرفيع. سوف أتمكن الآن من استكمال مسرحيتي". وكان يبدو في غاية السعادة.

وكان السنونو قد طار في اليوم التالي إلى الميناء. جلس على سارية مركب كبير وأخذ يرقب الصيادين الذين كانوا يسحبون شبكات الصيد الكبيرة بواسطة الحبال. كانوا كلما ظهرت إحدى الشبكات يهتفون "هيلا هوب! هيلا هوب!".

صاح السنونو " أنا ذاهب إلى مصر!..." ولكن لم يلتفت إليه أحد . وعندما بزغ القمر, طار السنونو مُجدداً إلى الأمير السعيد.

هتف بصوت مرتفع "جئت لكي أودعك."

قال الأمير" أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, ألن تبقى معي لليلة واحدة أطول؟"

أجابه السنونو:

" حلّ الآن فصل الشتاء, وسوف يسقط الثلج البارد عما قريب. الشمس دافئة في مصر وهي تسطع فوق أشجار النخيل الخضراء, حيث تستلقي التماسيح في الوحل بكسل. يقوم رفاقي الآن ببناء أعشاشهم في معبد بعل (معبود الفينيقيين), بينما ترقبهم اليمامات البيضاء والقرنفلية اللون وهي تهدل فيما بينها. أميري العزيز, علي أن أتركك, لكنني لن أنساك أبداً,

وسوف أجلب لك معي في الربيع المقبل جوهرتين جميلتين بدلاً من الجوهرتين اللتين وهبتهما للفقراء. سوف يكون لون الياقوتة أكثر حمرة من الوردة الحمراء, وسوف تكون الياقوتة الزرقاءُ زرقاءَ بلون البحر الكبير."

قال الأمير السعيد :

" أيها السنونو , أيها السنونو العزيز, أرى هناك في الساحة السفلية من المدينة, فتاة صغيرة تبيع الكبريت, كانت أعواد الكبريت قد سقطت منها في القناة وتَلِفت بكاملها . سوف يضربها والدها إن لم تعد إلى البيت ومعها بعض المال, وهي الآن تبكي. ليس لديها حذاء ولا جوارب, وهي حاسرة الرأس أيضاً . اقتلع عينِيَ الأخرى, وأعطها لتلك الفتاة , وبذلك لن يضربها والدها."

أجاب السنونو:

"سوف أبقى معك ليلة أخرى, لكن ليس بإمكاني أن أقتلع عينك لأنك بذلك سوف تُصبح أعمىً تماماً."

قال الأمير "أيها السنونو, أيها السنونو, أيها السنونو الصغير, افعل ما آمرك به."

وهكذا اقتلع السنونو عين الأمير الأخرى, واندفع بها بسرعة إلى الأسفل. وكان بعد أن تجاوز الفتاة التي تبيع الثقاب, قد رمى الجوهرة في راحة يدها.

قالت الفتاة " يا لها من قطعة زجاج جميلة ! " ثم أسرعت إلى المنزل, سعيدة ضاحكةً.

عاد السنونو بعد ذلك إلى الأمير. وقال له :

" سوف أبقى معك على الدوام, فأنت الآن أعمى."

قال الأمير المسكين:

"لا, أيها السنونو الصغير, عليك الآن أن ترحل إلى مصر."

قال السنونو " لا , سوف أبقى معك دوماً" ثم نام على قدمَي الأمير.

وفي اليوم التالي كان السنونو قد جلس على كتف الأمير, وأخذ يروي له القصص عما شاهده في تلك الأراضي الغريبة. حدّثه عن طيور أبي منجل الحمراء, التي تنتشر بصفوف طويلة على ضفاف نهر النيل لكي تصطاد الأسماك الذهبية بمناقيرها. حدّثه عن "أبو الهول", القديم قِدم العالم , الذي يعيش في الصحراء ويعرف كل شيء عن التجّار الذين يمشون ببطء بجانب جمالهم, وهم يحملون بين أيديهم حروز الكهرمان. حدثّه عن القمر ملك الجبال الأسود اللون كالأبنوس, الذي يعبد كرة كبيرة من الكريستال. حدّثه عن الثعبان الأخضر الكبير الذي

ينام قرب شجرة نخيل, وكيف يوجد حوله عشرون كاهناً يُطعمونه كعكات العسل. وحدثه عن الأقزام الذين يُبحرون فوق البحيرة على أوراق نباتية مُسطّحة كبيرة, والذين هم في حرب مستمرة مع الفراشات.

قال الأمير :

"أيها السنونو الصغير العزيز, أنت تُحدّثني الآن عن أمور رائعة وغريبة , لكن ما هو الأكثر غرابة في هذا العالم ومن أي شيءٍ آخر هو معاناة الرجال والنساء. ليس هناك ما هو أكثر غرابة من الشقاء , فلتُحلّق فوق مدينتي ولتعلمني بما سوف تراه هناك."

وهكذا كان السنونو الصغير قد حلق فوق تلك المدينة الكبيرة الجميلة , وشاهد كيف كان الأغنياء يحتفلون بكل بهجة في بيوتهم الجميلة , بينما يجلس المُتسوّلون أمام البوابات. ثم حلّق فوق الأزقّة المُظلمة وشاهد الوجوه الشاحبة لأطفال يتضورون جوعاً وهم يُحدقون بفتور إلى الشوارع المظلمة. كما شاهد تحت قناطر أحد الجسور, طفلين مستلقيَين متعانقين طلباً للدفء. كانا يقولان "كم نشعر بالجوع!.." لكن الحارس كان قد صرخ بهما :

" لا يجوز أن تستلقيا هنا" مما جعلهما يهيمان على وجهيهما تحت المطر.

ثم طار السنونو وعاد إلى الأمير وأعلمه بما شاهده. حينئذ قال الأمير :

" أنا مَطليّ بالذهب الصّافي, عليك أن تنزعه عني, طبقة طبقة , لكي تعطه إلى فقرائي, فمع كل أسف يعتقد الأحياء دوماً بأن بإمكان الذهب أن يمنحهم السعادة."

انتزع السنونو ذلك الذهب طبقة بعد طبقة , إلى أن أصبح الأمير السعيد باهتاً رماديّ اللون. ثم قام ا بعد ذلك بنقل أوراق الذهب الصافي إلى الفقراء , وبذلك كانت وجوه الأطفال قد أصبحت أكثرَ تورّداً. لعبوا وضحكوا في الشوارع وهم يهتفون "لدينا الآن ما نأكله من قوت !"

ثم جاء الثلج, وجاء بعد الثلج الصقيع. واكتست الشوارع بحلّة فَضية كانت تبدو لامعة متلألئة. كانت قطرات الجليد الطويلة تتدلى من أسطح المنازل أشبه بسكاكين من الكريستال , خرج الجميع من منازلهم وهم يرتدون معاطف الفراء, وارتدى الأولاد الصغار المعاطف القرمزية اللون وتزلجوا على الجليد.

أما السنونو الصغير فكان قد شعر أكثر فأكثر بالبرد , لكنه لم يكن ليترك الأمير, لأنه كان قد أحبه جداً. كان يجمع فِتات الخبز من أمام باب الخبّاز في غفلة منه, وكان يحاول أن يجلب لنفسه الدفء برفرفة جناحيه.

إلا أنه شعر أخيراً بأنه سوف يموت, وكان قد تبّقى له من العزم ما مكّنه من الطيران إلى كتف الأمير مرّة أخرى. طار إليه وهمس له :

"وداعاً أيها الأمير العزيز, هل تسمح لي بتقبيل يدك؟"

قال الأمير" أيها السنونو الصغير العزيز , أنا سعيد لأنك سوف تذهب أخيراً إلى مصر., كنت قد مكثت هنا لمدةٍ طويلةٍ جداً, لكن عليك أن تقبّلني من شفتيّ لأنني أحبك. "

قال السنونو " أيها الأمير العزيز , أنا لست ذاهباً إلى مصر إنما أنا ذاهب إلى بيت الموت, والموت هو شقيق النوم, أليس كذلك؟"

ثم طبع قبلة على شفتي الأمير السعيد, وسقط ميتاً على قدميه.

وفي تلك اللحظة, كان صوت تصدّع غريب قد صدر من داخل التمثال, كما لو أن شيئاً كان قد تحطم بداخله . لكن الحقيقة أن قلب الأمير المصنوع من الرصاص كان قد انشطر إلى شطرين لشدة الحزن .

وكان من سمعوا صوت التصدع قد قالوا :" من المؤكّد أن هذا الصوت هو صوت تكسّر الصقيع القاسي .

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي, كان محافظ المدينة يقوم بجولة في الساحة برفقة أعضاء مجلس المدينة, وعندما مرّوا بذلك العمود نظر المحافظ إلى التمثال, وقال:

"يا للعار! كم يبدو الأمير السعيد رثاً الآن! "

وهتف أعضاء مجلس المدينة الذين كانوا يوافقون دوماً على ما يقوله المحافظ :

" كم يبدو رثاً, بالفعل!": ثم صعد الجميع لكي يُلقوا نظرة على التمثال.

قال المحافظ:

" كما أن الياقوتة سقطت من مقبض سيفه, وزالت عيناه, ولم يعد ذهبي اللون. الحقيقة لم يعد شكله أفضل من مُتسوّل بقليل !"

وردّد أعضاء مجلس المدينة وراءه " نعم ليس أفضل من مُتسوّل بقليل "

واستمر محافظ المدينة في حديثه بأن قال:

" كما أن هناك عصفور ميت عند قدميه ! يجب أن نصدر التعليمات بمنع الطيور من الموت هنا."

وقام كاتب المدينة بتدوين ذلك الاقتراح.

وعندما شاهده مُدرس مادة الفنون في الجامعة قال:

"بما أنه لم يعد جميلَ المظهر كما كان, فلم تعد هناك أية فائدة من وجوده هنا ."

وبذلك قاموا باقتلاع تمثال الأمير السعيد . ثم قاموا بعد ذلك

بصهر التمثال في الفرن.

وكان محافظ المدينة قد عقد بعد ذلك اجتماعاً للهيئة العامة لاتخاذ القرار حول كيفية الاستفادة من المعدن المُنصهر. وقال:

" علينا الآن أن نضع مكانه تمثالاً آخر بالطبع, وسوف يكون ذلك التمثال لي."

وكان كلّ من أعضاء مجلس المدينة قد قال " بل لي!.. بل لي... " ثم تشاجروا. وآخر ما سمعته من أخبارهم أنهم لازالوا يتشاجرون.

قال ناظر العمال في مَسبك المعادن " يا للغرابة ؟ لم يذب هذا القلب المصنوع من الرصاص في الفرن. علينا أن نرميه خارجاً. وكانوا بذلك قد رموه في كومة الركام التي كان السنونو الصغير الميت مرمياً فيها أيضاً.

وعندما قال الله تعالى لأحد ملائكته " أحضروا لي الشيئين الأكثر قيمة في المدينة".

كان الملاك قد أحضر له كل من القلب الرصاصي والطائر الميت.

قال الله تعالى" أحسنت الاختيار! سوف يغني هذا العصفور الصغير في جنتي إلى الأبد , وسوف يُمجّدني هذا الأمير السعيد في مدينتي الذهبية إلى الأبد..."

الصديق المخلص

للكاتب أوسكر وايلد

أخرج جرذ مائي رأسه من جحره ذات صباح . لذلك الجرذ عينان صغيرتان لامعتان وشعر لحية خشن رمادي اللون, وذنب طويل يشبه قطعة من المطاط الأسود . كانت فراخ البطّ الصغيرة الصفراء الشبيهة بطيور الكناري تسبح حول البحيرة., بينما كانت البطّة الأم الناصعة البياض ذات الساقين الحمراوين تحاول تدريبهم على الوقوف على رؤوسهم في الماء.

كانت تُكرّر القول:

" لن يُصبح لكم قطّ أي شأن في مجتمع البطّ مالم يكن بإمكانكم الوقوف على رؤوسكم في الماء."

وكانت من حين لآخر تعرض عليهم كيف يتم الوقوف على الرأس في الماء. لكن البطّ الصغير لم يكن يلتف لما تقوله. كانوا صغار السن جداً وبذلك لم يفهموا معنى أو فائدة أن يكون لهم شأنهم في مجتمع البطّ...

صاح الجرذ المائي العجوز:

" كم هم متمردون هؤلاء الصغار, هم يستحقون بالفعل أن تتركهم والدتهم يغرقون".

وأجابت البطّة الأم:

" لا, لا شيء من هذا القبيل. لا يجوز أن يفتقر الأهل إلى الحلم, هناك مرّة أولى لكل شيء..."

قال الجرذ المائي:

" في الواقع, ليست لدي أية فكرة عن مشاعر الأهل تجاه أولادهم , فأنا لست ربّ عائلة ., لم أكن قد تزوجت ولست أنوي ذلك . الحب بحدّ ذاته جيّد جداً لكن ما هو أرفع قيمة منه هي

الصداقة, واست أرى في هذا العالم ما هو أنبل وأندر من صديق مخلص."

سأله طائر زقاقي كان جاثماً على شجرة صفصاف في مكان قريب من البحيرة وكان قد سمع المحادثة:

" أعلمني من فضلك, ما هي فكرتك عن واجبات الصديق المخلص؟"

قالت البطّة " هذا تماماً ما كنت أرغب معرفته أنا أيضاً " ثم عامت في الماء وابتعدت إلى آخر البحيرة, ووقفت هناك على رأسها لكي تعطي أولادها مثلاً جيداً عن طريقة العوم على الرأس داخل الماء..

قال الجرذ المائي" ما هذا السؤال الساذج؟ أتسأل عما أتوقعه من صديق مخلص؟ أتوقع منه بالطبع أن يكون مخلصاً لي وفي كل شيء."

قال الطائر وهو يسبح فوق الرذاذ الفضي ويرفرف بجناحيه الصغيرين" وما الذي ستقدمه له بالمقابل؟"

أجاب الجرذ المائي" لست أفهم ما تقصده؟"

قال الطائر " دعني أروي لك قصّة أعرفها عن هذا الموضوع."

سأله الجرذ المائي " أهي قصّة عني؟" لو كانت هذه القصّة عن فسوف أصغي إليها فأنا أحب جداً قصص الخيال."

طار الطائر وحطّ في الأسفل بجانب الضفة وقال :

" نعم, هذه القصّة تنطبق عليك تماماً " ثم بدأ يروي قصّة الصديق المخلص.

قال الطائر:

" في سالف الأزمان, كان هناك رجل ساذج مخلص يدعى هانس."

سأل الجرذ الصغير" هل كان متميّزاً ؟" أجاب الطائر :

"لست أعتقد أنه كان متميّزاً على الإطلاق, ما عدا بما يتعلق بطيبة قلبه وبوجهه المستدير البشوش. كان هانس يعيش بمفرده في كوخ صغير ويعمل طوال اليوم في حديقته, ولم يكن في البلدة هناك حديقة بمثل جمال حديقته.

كانت حديقته تحوي على مختلف أنواع النباتات والزهور: خيشوم ,ورد دمشقي , ورود صفراء , زنابق , زعفران وزهور البنفسج الذهبية ,البيضاء , الزرقاء والأرجوانية, وكذلك النرجس الأصفر ,القرنفل , المسك ونبات العَترة. كانت جميعها تُزهر بالترتيب وتتفتح حسب الفصول مع مرور الأشهر . كانت كل زهرة منها تُزهر في وقتها الواحدة تلو الأخرى., وبذلك

كانت حديقته تحتوي دوماً على الأشياء الجميلة التي تُمتع النظر وعلى روائح ذكيّة يشمّها المارون.

كان لهانس العديد من الأصدقاء لكن أكثرهم إخلاصاً (وهذا برأيه) كان الطحّان ميلر. كان ذلك الطحان الثري مخلصاً بالفعل لهانس بحيث لم يكن يمرّ بجانب حديقته دون أن ينحني فوق الجدار لكي يقطف باقة كبيرة من الزهور أو حفنة من الأعشاب أو أن يملأ جيبه بالكرز والبرقوق لو كان مروره قد صادف في موسم نمو الفاكهة (تعبير تهكمي) . كان الطحان ميلر يقول دوماً :

" على الأصدقاء الحقيقيين أن يتشاركوا في كل شيء " وكان هانس يهزّ رأسه ويبتسم ويشعر بالكثير من الفخر بأن يكون لديه صديق بمثل تلك الأفكار النبيلة.

بينما كان الجوار يجدون بأن من المستغرب بالفعل ألا يقوم ذلك الطحان الثري بإعطاء هانس أي شيء بالمقابل رغم أن لديه في طاحونته المئات من أكياس الطحين المُخزنة بالإضافة إلى ستّ بقرات تدرّ الحليب وقطيع كبير من الخراف. لكن هانس لم يكن يجهد ذهنه بمثل تلك الأمور , ولم يكن ما قد يجعله يشعر بالبهجة أكثر من سماعه تلك الأشياء الرائعة التي كان الطحان يقولها عن عدم أنانية الصديق الحقيقي...

كان هانس يعمل في حديقته بكل جدّ ومثابرة طوال فصول الربيع والصيف والخريف., وكان سعيداً جداً بذلك...لكنه عندما حلّ الشتاء ولم تعد لديه أية فاكهة أو زهور كي يبيعها في السوق , كان د بدأ يُعاني كثيراً من البرد والجوع ., وكما كان عليه في كثير من الأحيان أن يأوي إلى فراشه دون عشاء ما عدا ما لديه من بعض الكمّثرى الجافة والبندق القاسي .

ورغم أنه كان قد أصبح وحيداً وبائساً للغاية , إلا أن ذلك الصديق الطحان لم يعد يمرّ به أو يزوره على الإطلاق طوال تلك الفترة وإنما اعتاد أن يقول لزوجته:

" لا فائدة من ذهابي لزيارة هانس مع استمرار سقوط الثلج ., يُفضّل الناس عندما تواجههم المشكلات أن يبقوا بمفردهم ولا تكون لديهم أية رغبة بأن يزعجهم الغرباء!... هذه هي فكرتي عن الصداقة وأنا متأكد من أنني على صواب!.. لذا سوف أنتظر قدوم الربيع لكي أزوره, وسوف يكون بإمكانه حينذاك أن يعطيني سلّة كبيرة من زهور الربيع التي ستجعلني أشعر بالسعادة ..."

أجابته زوجته التي كانت جالسة في مقعد مريح بجانب نار دافئة من خشب الصنوبر:

" أنت بالفعل تراعي مشاعر الآخرين كثيراً, لاشكّ في ذلك. , نعم, أنت بالفعل كذلك, ومن الممتع أن يسمعك المرء تتحدث عن الصداقة., وأنا متأكدة بأن الكاهن ذاته لا يمكن أن يتحدث

بمثل هذه العبارات الجميلة كما تفعل أنت, رغم أنه يعيش في بيت من ثلاث طوابق, ولديه في إصبعه الصغير خاتماً ذهبياً.

لكن أصغر أبناء الطحّان سناً قال :

" لكن أليس بإمكاننا أن ندعو هانس للقدوم إلى هنا ؟ لو كان هانس يعاني من المشاكل فسوف أعطيه نصف حصتي من الثريد وسوف أريه الأرانب البيض."

لكن الطحّان صاح به:

" كم أنت غبي أيها الفتى ! لست أرى ما الفائدة من إرسالك إلى المدرسة, يبدو أنك لا تتعلم شيئاً... لماذا, لو جاء هانس إلى هنا وشاهد ما لدينا : نار دافئة وعشاء جيد وكعكة حلوى كبيرة , فقد يجعله ذلك يشعر بالغيرة مما لدينا وبالحسد , والحسد من الأمور الرهيبة التي تُفسد نفس المرء .. ولن أسمح بالطبع بأن يحدث مثل ذلك لهانس فأنا أفضل من لديه من الأصدقاء . سوف أرعاه على الدوام وسوف أحرص على ألا يتعرّض لأية إغراءات. عدا عن ذلك فلو جاء هانس إلى هنا , قد يطلب مني أن أقرضه بعض الطحين وهذا ما ليس بإمكاني أن أفعله., الطحين شيء والصداقة شيء آخر, ولا مجال للخلط بينهما.

كان بإمكان أي شخص أن يُدرك بأن ميلر الطحان لم يكن قد تلفّظ بتلك العبارات عن غير قصد أو بأسلوب يختلف عما كان يقصده بالفعل من ذلك...

قالت زوجة الطحان وهي تسكب لنفسها كأسا كبيرة من الشاي الدافئ :

" كم تتحدث بحكمة. أكاد أشعر بالدوار, فما تقوله يبدو كما لو أنه يُقال في موعظة كنيسة."

أجاب الطحّان بتفاخر :

"قد يتصرف الكثيرون بشكل جيّد لكن القليل منه يتحدثون بأسلوب جيد مما يُشير إلى أن التحدث هو الأكثر صعوبة بين الأمرين, كما أنه الشيء الأفضل."

ثم نظر بتجهّم إلى ابنه الصغير الذي شعر بالكثير من الخجل مما أبداه من ملاحظة حول هانس , وكان قد أحنى رأسه للأسفل وقد اصطبغ وجهه بحمرة قانية ثم بدأ يبكي. ثم قال الطحان:

" لازال الفتى صغير السن جداً لذا يجب أن نصفح عنه."

سأل الجرذ المائي " أهذه هي نهاية القصّة؟."

أجاب الطائر" لا, بل هذه بدايتها التأكيد."

قال الجرذ المائي " لابد أنك لست من هذا العصر, في هذه الأيام كل من يروي قصّة يبدأها من نهايتها ثم ينتقل إلى بدايتها لكي يُنهيها بعد ذلك في منتصفها. هذه هو المنهج الجديد... كنت سمعت ذلك أمس من أحد النقّاد بينما كان يتجول حول البحيرة مع أحد الشبان.. كان قد تحدث عن الموضوع مطوّلاً., وأنا على يقين بأنه على حقّ., لأنه يرتدي نظارة زرقاء اللون, كما أنه أصلع الرأس, وكان يجيب بتهكم على كل ملاحظة أبداها الشاب الذي يرافقه. وما أرجوه الآن هو أن تستمر في سرد قصتك. لأنني أحببت ذلك الطحان كثيراً, كما أن لدي أيضاً مثل تلك المشاعر الجميلة, وبذلك هناك الكثير من التعاطف بيننا."

قال الطائر وهو يقفز بقدم لأخرى" حسناً ".

وكان الطحان, على الفور من انتهاء فصل الشتاء, وعندما بدأت زهور الربيع تتفتح من جديد أشبه بنجوم ذهبية اللون., قد أعلم زوجته بأنه سوف يذهب لرؤية هانس.

وهتفت زوجته :

" كم أنت طيب القلب ؟ أنت تفكر دوماً بمشاعر الآخرين. ولكن لا تنسى بأن عليك أن تأخذ معك سلّة كبيرة لكي تجلب الزهور."

وبذلك كان الطحّان قد أوقف العمل في طاحونته وتوجّه نحو التلّ وهو يحمل تحت ذراعه سلّة كبيرة.

قال الطحّان " عِمت صباحاً هانس "

وابتسم هانس ابتسامة لطيفة وأجاب " عِمت صباحاً."

قال الطحّان " كيف كان وضعك أثناء فصل الشتاء؟"

قال هانس " في الحقيقة من اللطف أنت تسألني عن ذلك , هذا لطف كبير منك بالفعل . أخشى أن أقول بأنني كنت بالأحرى قد عانيت كثيراً , لكن الربيع حلّ الآن وأنا سعيد جداً., وها قد بدأت جميع الزهور تنمو من جديد وبشكل جيد."

قال الطحّان" كنا أنا وزوجتي نذكرك دوماً أثناء فصل الشتاء ونتساءل كيف تسير الأمور معك؟"

قال هانس " هذا لطف منكم , اعتقدت بأنكم نسيتموني."

قال الطحّان " ما هذا هانس؟ , أنا أعجب من موقفك هذا, الصداقة لا يمكن أن تُنسى . وهذا هو الشيء الرائع فيها لكنني أخشى ألا تكون قد فهمت السرّ الشاعري للحياة. وبالمناسبة, كم تبدو زهورك جميلة!"

قال هانس " هي كذلك بالتأكيد , ومن حسن حظي أن لدي الكثير منها., سوف أحملها إلى السوق لكي أبيعها إلى ابنة

العمدة, وبذلك سوف يكون بإمكاني أن أستعيد بقيمتها العجلة التي كنت رهنتها."

قال الطحّان" أتريد أن تستعيد عجلتك ؟ لا أظنك تعني بأنك لم تكن بعتها ؟ كم كان ذلك من الخبل؟"

قال هانس " حسناً , في الواقع كنت مُجبراً على ذلك . أترى , كان فصل الشتاء قاسياً جداً بالنسبة إلي , ولم يكن لدي ما يكفي من مال حتى لشراء قوتي اليومي . كنت في البداية قد بعت أزرار معطفي المصنوعة من الفضة, ثم بعت سلسلتي الفضية, ثم بعت غليوني الكبير إلى أن اضطررت في النهاية إلى بيع عجلتي, لكنني سوف أسترد من جديد كل ما كنت بعته سابقاً. "

قال الطحّان" سوف أعطيك عجلتي., ليست في الواقع بالتعويض الجيّد جداً لأن أحد جانبيها مكسور كما ستحتاج إلى إصلاح إحدى العجلات ., لكنني سأعطيها لك مع ذلك. أعلم بأن هذا كرم كبير مني, وقد يعتبر الكثيرون أن تنازلي عنها من الخبل, لكنني لست مثل غيري من الأشخاص في هذا العالم, فأنا أؤمن بأن الكرم هو أساس الصداقة كما أن لدي بالإضافة إلى ذلك عربة نقل جديدة. نعم , بإمكانك الآن أن تُريح ذهنك فسوف أعطيك عربتي."

قال هانس وقد أشرق وجهه المستدير بالسرور:

" هذا كرم منك بالفعل , بإمكاني إصلاحها بكل سهولة بما أن علي أن أضع لوحاً من الخشب على سطح المنزل."

قال الطحّان :

" أهذا صحيح ؟ هذا ما أحتاجه أيضاً لسقف الإصطبل., هناك ثقب كبير فيه, وإن لم أقم بإصلاح السقف على الفور فسوف تُصيب الرطوبة الذرة., من حسن الحظ أنك أشرت إلى ذلك! من الرائع أن المرء عندما يقوم بعمل صالح فلابد أن يُثمر ذلك بشكل أو بآخر., كنت قد أعطيتك عربتي وسوف تعطيني الآن لوح الخشب الذي لديك. من المؤكد أن العربة تساوي أكثر من لوح الخشب, لكن الحقيقة أن الأصدقاء لا يلتفتون فيما بينهم لمثل هذه الأمور... رجاء, اذهب على الفور واجلب لي لوح الخشب لأن علي أن أبدأ على الفور بإصلاح سقف الإصطبل .

هتف هانس الطيّب " سوف أفعل ذلك بالتأكيد . سوف أجلب لك لوح الخشب على الفور. والآن, اركض وسحب لوح الخشب من العليّة وأحضره إليه.

نظر الطحّان إليه وقال:

" هذا اللوح الخشبي ليس كبيراً , سوف أصلح بواسطته سقف الإصطبل لدي , لكنني أخشى ألا يتبقى لك منه بعد ذلك ما قد يكفي لإصلاح عربتك , وهذه ليست غلطتي بالطبع . والآن , وأنا متأكد الآن , بما أنني سوف أعطيك عربتي, بأنك سوف تعطني بعض زهورك. ها هي السلّة ولتتأكد من ملأها تماماً بالزهور."

قال هانس وكان ذلك بالأحرى بحزن لأن السلّة كانت كبيرة جداً مما يعني بأنه لو ملأها بالزهور فلن يتبقى لديه ما يبيعه, و كان يرغب كثيراً باستعادة أزراره الفضية :

"أتريدني أن أملأها تماماً ؟"

أجاب الطحّان " حسناً, ما دمت قد أعطيتك عربتي فهل من الكثير أن أطلب منك بعض الزهور. قد أكون مخطئاً

لكنني اعتقدت بأنه ليس هناك أية أنانية في صداقة حقيقية من هذا النوع."

صاح هانس الطيّب :

" يا صديقي, يا أفضل أصدقائي, بإمكانك أن تأخذ كل ما لدي في الحديقة من زهور ., فمن الأفضل لي أن أحظى بتقديرك من أن أستعيد أزراري الفضية..."

ثم ركض واقتطف أجمل ما لديه من زهور الربيع وملأ بها سلّة الطحان.

قال الطحّان " إلى اللقاء هانس" ثم انطلق وعلى ظهره لوح الخشب كتفيه وهوة الزهور.

وكان هانس قد عاد إلى فلاحة الأرض بكل سرور لأنه سوف يحصل على العربة.

وفي اليوم التالي , وبينما كان هانس يثبّت شجرة مليئة بالرحيق على طرف الشرفة , سمع صوتاً يناديه من الطريق. وبذلك قفز إلى الأسفل وركض إلى الحديقة ونظر من خلف الجدار., كان ذلك ميلر الطحّان وعلى ظهره كيس كبير من الطحين.

قال ميلر " عزيزي هانس , هل تمانع في حمل هذا الكيس عني إلى السوق؟"

قال هانس " آسف جداً فأنا في غاية الانشغال اليوم, علي أن أقوم بتثبيت جميع العرائش, كما أن علي سقاية جميع النباتات وتشذيب العشب."

قال الطحّان ميلر " أعتقد بأنه ليس من المناسب أن ترفض ذلك ما دمت سأعطيك عربتي."

حينئذ صاح هانس بأسف " لا, لا تقل هذا , لن أتصرف تجاهك بأسلوب غير ودّي ولأي سبب في العالم."

ثم ركض وكان بعد أن ارتدى معطفه قد حمل ذلك الكيس الكبير على كتفيه وهو يتعثر.

كان ذلك اليوم من الأيام الحارة جداً, وكانت الطريق مُغبرة جداً., وبذلك كان هانس قبل أن يصل إلى الميل السادس قد تعب للغاية واضطر للجلوس لبعض الوقت جلس لكي يستريح , لكنه تابع سيره بعد ذلك وبكل بسالة إلى أن وصل أخيراً إلى السوق . وبعد أن انتظر لبعض الوقت كان قد تمكن من بيع الطحين بسعر جيد جداً , ثم عاد على الفور إلى المنزل لأنه كان يخشى أن يتعرض للسرقة لو تأخر في العودة.

حدث هانس نفسه وهو يأوي إلى فراشه:

" كان هذا اليوم مُتعباً للغاية , لكنني سعيد لأنني لم أكن الفارغ. لب الطحّان ميلر فهو أفضل أصدقائي كما أنه سوف يعطيني عربته."

وفي صباح اليوم التالي وبينما كان هانس لايزال في فراشه جاء إليه الطحّان في وقت مبكر لكي يأخذ المال وكيس الطحين الفارغ . قال الطحّان لهانس:

" في الحقيقة أنت كسول جداً .. وعليك أن تعمل بجد أكثر بما أنني سأعطيك عربتي. البطالة من أسوأ الخطايا وأنا بالتأكيد لا أحب أن يكون أحد أصدقائي كسولاً أو بليداً. يجب ألا تتضايق من تحدثي معك بهذا قدّم خدمة لم أكن سأفعل ذلك بالطبع لو لم تكن صديقي, فما فائدة الصداقة إن لم يكن بإمكان المرء أن يقول ما يعنيه تماماً ؟ بإمكان أي شخص أن يقول لك ما قد يسرّك من كلام مُنمّق, وأن يمتدحك لكي يحصل على رضاك, لكن الصديق الحقيقي يقول دوماً الأشياء التي قد تزعج دون أن يهتم فيما إذا كان ذلك سيتسبب لصديقه بالألم., لأنه يعلم بأنه يكون بذلك قد قدّم خدمة لصديقه."

قال هانس الطيّب وهو يفرك عينيه وينهض من فراشه:

" أنا آسف جداً, لكنني كنت متعباً للغاية لذا رأيت أن أستلقي في فراشي لبعض الوقت لكي أستمع إلى تغريد الطيور. هل تعلم بأنني أعمل دوماً بشكل أفضل عندما أستمع إلى تغريد الطيور ؟"

قال الطحّان وهو يضرب هانس على ظهره :

" حسناً , أنا مسرور بذلك, لكنني أريدك أن ترتدي ملابسك على الفور وأن تأتي معي لكي تصلح لي سقف الإصطبل."

كان هانس المسكين متلهفاً جداً للذهاب إلى حديقته فلم يكن قد وجد الوقت لرّي نباتاته منذ يومين , لكنه لم يرغب برفض طلب ميلر الطحّان وهو من خيرة أصدقائه. لذا سأله بخجل وبصوت خافت " أتعتقد بأن من غير الملائم أن أقول لك بأنني مُنشغل."

أجابه ميلر " في الواقع , أعتقد بأنني لست أطلب منك الكثير إن كنت طلبت منك أن تصلح لي سقف الإصطبل, خاصة وأنني سوف أعطيك عربتي. لكنني سوف أقوم بإصلاحه بنفسي في حال رفضك القيام بذلك."

صاح هانس " لا ! لا! وبأي ثمن"

وكان قد قفز من فراشه وارتدى ملابسه وتوجّه على الفور إلى الإصطبل .

عمل هانس هناك طوال اليوم وإلى وقت الغروب. وعندما حلّ الغروب كان ميلر قد جاء إليه لكي يشاهد كيف تجري الأمور. وكان عندما شاهد السقف قد قال بسرور:

" هانس , لقد أصلحت السقف بشكل جيد جداً ."

قال هانس وهو ينزل من السلم " ها قد تم إصلاحه تماماً."

أجابه ميلر " ليس هناك ما هو أفضل من العمل الذي يقوم به المرء لأجل لآخرين."

أجاب هانس وهو يجلس ويُجفف جبينه المُتعّرق :

" ما أسمعك تقوله الآن يعتبر بالفعل تقريظاً رفيعاً لي بالفعل . هو بالتأكيد كذلك, لكنني أخشى ألا تكون لدي مثل هذه الأفكار الرفيعة التي لديك."

قال ميلر " أووه... لا بأس, لابأس , سوف تأتي إليك مع الوقت, لكن عليك أن تبذل المزيد من الجهد. كل ما عليك الآن أن تُثبت بتصرفك إخلاصك كصديق, وسوف ترى كيف ستصبح لديك مثل هذه المبادئ ذات يوم! "

سأل هانس بسذاجة " هل تعتقد فعلاً بأنني سوف أفعل ذلك؟"

" أجاب ميلر " ليس لدي أي شك في ذلك. وبما أنك أنهيت إصلاح السقف, فمن الأفضل أن تذهب الآن إلى منزلك لأنني أريدك أن تقود غداً قطيع الأغنام إلى الهضبة بدلاً عني."

وكان هانس البائس قد خشي الردّ على ما طلبه الطحّان بأي شيء... وبذلك الطحان في صباح اليوم التالي, قد جلب القطيع إلى منزل هانس, وبذلك قاده هانس إلى الهضبة., وكان ذهابه إلى الهضبة وعودته منها قد استغرق منه طوال اليوم...

كان هانس قد شعر بعد عودته بتعب شديد, و بذلك كان قد استغرق في النوم على كرسيه وليس في سريره ولم يستيقظ إلى أن انتصف النهار.

ذهب على الفور إلى حديقته وهو يحدّث نفسه:

" سوف أمضي الآن وقتاً ممتعاً مع زهوري."

ولكن , لم يكن بإمكانه أن يتفرغ للعناية بزهوره لأن صديقه الطحّان ميلر كان يأتي إليه كل فترة لكي يطلب منه تأدية بعض المهام التي كانت تأخذ منه وقتاً طويلاً, أو لكي يطلب مساعدته في أعمال طاحونته.

كان هانس قد أصبح في غاية الاكتئاب لأنه بدأ يخشى أن تعتقد أزهاره بأنه نسيها, لكنه كان يُعزّي نفسه بما كان يردّده له ميلر– أعز صديق لديه– وكان يقول "كما أنه سوف يمنحني عربته, وهذا الأمر بالذات يعتبر بمثابة الإحسان إلي."

وهكذا , كان هانس البائس يعمل طوال الوقت لصالح ميلر بينما كان الأخير يُردّد له دوماً الكثير من الأشياء الجميلة حول الصداقة.. وكان هانس يُدونها في كتيب صغير لكي يقرأها ليلاً... ذلك لأنه كان تلميذاً مُجداً!...

وذات ليلة, وبينما كان هانس جالساً بجانب المدفأة وصلت إلى مسامعه طرقة قوية على الباب. كانت تلك الليلة ليلة عاصفة , وكانت الرياح تعصف وتدوّي بشكل مخيف حول المنزل .., لذا اعتقد هانس في البداية بأن ذلك الصوت قد نجم عن العاصفة . لكن تلك الضربة القوية تكررت ثانية ثم تلتها ضربة ثالثة أقوى من أي من الضربات الأخرى.

لذا حدث هانس نفسه:

" لابد أنه أحد المسافرين البؤساء وأسرع نحو الباب."

لكنه عندما فتح الباب وجد الطحّان ميلر واقفاً هناك ممسكاً بإحدى يديه مصباحاً وباليد الأخرى عصاً.

قال ميلر " عزيزي هانس , لدي مشكلة كبيرة., سقط ابني الصغير من أعلى السلالم وجُرح .., عليّ الذهاب لإحضار الطبيب على الفور, لكنه يقيم في مكان بعيد جداً لذا خطر ببالي بأنه ربما كان من الأفضل أن تذهب أنت بدلاً عني. أنت تعلم بأنني سوف أعطيك عربتي لذا فمن العدل أن تؤدي لي هذه الخدمة بالمُقابل ."

هتف هانس " نعم بالتأكيد, هذا بالتأكيد , فأنا أعتبر مجرد قدومك إلي لطلب المساعدة بمثابة التقدير لي .., سوف انطلق على الفور, لكن عليك أن ترشدني بمصباحك لأن الليلة مظلمة وأخشى أن أسقط في القناة.

لكن ميلر أجابه " آسف جداً, فهذا هو مصباحي الجديد ولو كُسر فسوف تكون تلك خسارة كبيرة لي."

قال هانس " لابأس , لابأس , لا تقلق سوف أتدبر الأمر بدون المصباح. ثم تناول الرياح تعصف الفراء ووضع قبعة على رأسه ووضع لفاعاً حول عنقه. وانطلق.

كانت العاصفة تهب بشدّة في تلك الليلة ! وكان الظلام دامساً., ولم يكن بإمكان هانس يكاد يرى أمامه., وكانت الرياح تعصف بشدة بحيث كان من العسير عليه أن يظل واقفاً, لكنه كان مع ذلك شجاعاً جداً , وبذلك استطاع أن يصل إلى بيت الطبيب بعد مسيرة دامت ثلاث ساعات. وعندما طرق الباب. أخرج الطبيب رأسه من تحت الملاءات وصاح:

"من بالباب؟"

أنا هانس أيها الطبيب.""

" ما الذي تريده هانس؟"

" سقط ابن الطحان ميلر من أعلى السلالم وجُرح ويطلب منك ميلر القدوم إليه في الحال."

قال الطبيب " حسناً" ثم طلب من الخادم أن يهيئ له حصاناً ومصباحاً وانطلق باتجاه منزل ميلر يتبعه هانس.

لكن العاصفة كانت قد أصبحت أسوأ فأسوأ, وكان المطر ينهمر بشدّة, وبذلك لم يعد بإمكان هانس أن يرى إلى أين عليه أن يتجه كما لم يعد بإمكانه أن يكبح حصانه . وبذلك كان قد ضلّ طريقه وبدأ يتخبط في المستنقع الذي هو مكان خطر جداً تنتشر فيه حفر عميقة., وبذلك كالتالي, لبائس آخر الأمر قد غرق هناك...

وفي اليوم التالي , عثر بعض الرجال على جثته التي كانت طافية في بركة كبيرة من المياه وحملوه إلى كوخه...

كان الجميع قد شاركوا في تشييع هانس نظراً لأنه كان من الأشخاص المحبوبين. كما كان الطحان المشيع الرئيسي بينهم حيث قال:

" بما أنني كنت أفضل صديق له فمن العدل أن أتخذ المكان الأفضل في تشييعه. وكان بذلك قد مشى على رأس الموكب بردائه الأسود الطويل, وكان من حين لآخر يجفف عينيه بمنديل كبير.

جلس الجميع بعد التشييع في النزل يتناولون الحلوى ويشربون الشاي,

حينئذ قال الحداد" من المؤكد أن وفاة هانس الطيّب تُعتبر خسارة كبيرة لنا جميعاً. "

وأجاب ميلر الطحان " هي في جميع الأحوال خسارة لي بالذات , كنت سأعطيه عربتي, ولست أدري ما الذي سأفعله بها الآن فهي تُعيق تحركاتي في المنزل., كما أنها بوضع سيء جداً لذا لم يكن بإمكاني أن أبيعها لكي أحصل على ثمنها. سوف أحرص منذ الآن على ألا أكون بهذا الكرم وبألاّ أعطي أي شيء مما لدي للآخرين..."

قال الجرذ المائي بعد فترة تردد طويلة:

" حسناً وماذا بعد ؟

أجاب الطائر " حسناً, هذه هي نهاية القصّة."

سأل الجرذ المائي " ولكن ما الذي آل إليه الطحّان؟"

أجاب الطائر " أووه! في الحقيقة لست أعلم ما حلّ به, كما أنني لست مهتماً بذلك بالتأكيد."

قال الجرذ المائي " من الواضح تماماً أنك بطبيعتك لست ممن يتعاطفون مع الآخرين ."

قال الطائر" أخشى ألا تكون قد فهمت المغزى الأخلاقي من هذه القصة. صاح الجرذ المائي " ماذا؟"

" المغزى الأخلاقي"

"هل تقصد القول بأن لتلك القصة مغزاها الأخلاقي ؟"

قال الطائر " بالتأكيد. حسناً, للجرذ المائي بكل حنق " حقاً ؟ حسناً , أعتقد بأنه كان عليك أن تُعلمني بذلك قبل أن تبدأ بسرد القصة., ولو كنت فعلت ذلك لما كنت استمعت إليك , وإنما كان علي أن أهزأ بها كما فعل ذلك الناقد., ومع ذلك بإمكاني أن أقول لك ذلك الآن . ثم لف ذنبه حوله وعاد إلى جحره.

سألته البطّة التي جاءت بعد بضع دقائق :

" كيف وجدت ذلك الجرذ المائي؟ ربما كان في رأيه العديد من النقاط الجيدة , ولكن من جهتي , لدي مشاعر الأمومة وليس بإمكاني على الإطلاق أن أنظر إلى شخص غير متزوج دون أن تملأ عينيّ الدموع."

أجابها الطائر " أخشى أن أكون قد ضايقته بتلك الرواية, لكن الحقيقة أنني كنت قد رويتها له على سبيل تذكيره بما لها من مغزى ٍأخلاقي."

قالت البطّة " ويُعتبر هذا الأمر بالتأكيد من أخطر الأشياء التي قد يفعلها المرء..."

وأنا أوافقها تماماً على ما قالته... "

روح هائمة

للكاتبة لوسي مونتغومري

كان الغروب رائعاً في الليلة التي التقى فيها بول بالآنسة تريفور. كانت الآنسة تريفور تتجول إلى جانب اللسان البحري الكائن إلى أبعد من خليج نويل كي تستمتع بوقت بهيج في ذلك المكان الرائع الجمال . فهو يزدان من الجهة الغربية بالورود و بزهور النرجس, بينما تبدو السماء عن بعد, من الجهة الشمالية, مُتموّجة بسُحب صغيرة شديدة الاحمرار., وإلى أبعد من ذلك أيضاً ومن الطرف الأيسر كانت تبدو خلف الشاطئ تلك الهضاب البنفسجية الشامخة وذلك المرفأ الذي تنتشر في مياهه السفن التي تخفق أشرعتها, في سَحر الأفق.

امتد خيط لؤلئي من أشعة الغسق عبر المياه وانعكس على سطح المياه الزرقاء أمام الآنسة تريفور مباشرة. تنهدت الآنسة تريفور بسعادة غامرة أمام ذلك سحر وروعة البحر والسماء, ثم استدارت لكي تنظر إلى كوخ نويل الظليل الكئيب الذي يقبع على اللسان البحري الطويل وشاهدت بول...

لم يخطر ببالها أن يكون بول من سكان الشاطئ. كانت تعرف جيداً هيئة سكان الشاطئ., وبذلك استغربت وجوده في مثل ذلك المكان. كانت متأكدة من أنه لم يكن قَدم عن الطريق الرملي , كما كانت الأمواج عاتية جداً بحيث يتعذر عليه القدوم عبر الرأس البحري.

كان بول جالساً كالجلمود على صخرة أرجوانية, وقد ضم ساقيه العاريتين السمراوين معاً ووضع يديه عليهما. لم يكن ينظر إلى الآنسة تريفور وإنما إلى الغروب , أو ربما إلى ما أبعد من ذلك , إلى المكان الذي لا تشاهد فيه الأشياء سوى بانعكاساتها الباهتة على المياه , تلك الأشياء التي لا تّثير الاهتمام سوى من لديهم موهبة الرؤية من بعيد.

نظرت إليه الآنسة تريفور بإمعان بعيني امرأة كانت قد قابلت العديد من الأشخاص في كافة أنحاء العالم وخلال عدد من السنوات قد لا يسرّها الاعتراف بها., وقرّرت بأنه بالفعل

أكثر وسامة من أي من الرجال الذين كانت شاهدتهم طوال حياتها. كان له جسم لَدن رشيق وكتفان مقوّسان وصدر أسمر, وكان شعره كثيفاً مموّجاً يميل إلى الحمرة, وحاجبان ومستقيمان فوف عينين واسعتين رماديتي اللون تلوح فيهما نظرة تأمل. كانت ملابسه بسيطة من القطن الأبيض , لكن الآنسة تريفور كانت قد وجدت بول بشكل عام أفضل مما كان عليه.

ابتسم بول على نحو حالم , وكان ذلك ما جعل افتتانها به يزداد . لم تكن تلك الابتسامة عبارة عن حركة شفاه وعينين, وإنما أشرق وجهه بالكامل كما لو أن مصباحاً كان قد أضاء فجأة في داخله وأنار جسمه من رأسه إلى قدميه . والأفضل من كل ذلك أنها كانت ابتسامة عفوية تولدت دون دافع أو جهد خارجي, وإنما كانت على ما يبدو انعكاساً لفكرة بهيجة جامحة , فكرة غريبة دون قيود أشبه برياح البحر.

قرّرت الآنسة تريفور أن تكتشف كل ما يتعلق بذلك الفتى وبذلك خرجت من ظلّ الصخور الذي كان يلف الشاطئ إلى المنطقة التي لاتزال في الضوء.

استدار الفتى ونظر إليها. كانت تلك النظرة في البداية نظرة دهشة ثم تحوّلت إلى نظرة تساؤل وإعجاب. كانت الآنسة تريفور ترتدي ثوباً أبيض اللون وتضع على رأسها وشاحاً مزخرفاً وكانت تستحق الإعجاب. ابتسمت لبول وابتسم لها بول., ولم تكن تلك الابتسامة الظاهرية الأولى ما كان قد قرّب بينهما, وإنما ما كانت قد أوحت به -- لها على الأقل -- من انطباع لطيف بالإعجاب. وبذلك أصبحا ومن اللحظة الأولى من أعز الأصدقاء وكما لو أنهما عرفا بعضهما من مئات السنين... كان لدى الآنسة تريفور ما يكفي من التمييز لكي تُدرك ذلك ولكي تعلم بأنها لن تحتاج لإضاعة الوقت في التعّرف عليه.

قالت " أود معرفة اسمك والمكان الذي تقيم فيه, وما الشيء الذي كنت تنظر إليه إلى ما وراء الغروب."

وأجاب " اسمي بول إيبر وأنا أعيش "هناك" وليس بإمكاني أن أصف لك تماماً ما شاهدته في غروب الشمس لكنني ,عندما أعود إلى منزلي , سوف أكتب عن ذلك في دفتر مذكراتي."

استغربت الآنسة تريفور في البداية ما أورده في الجزء الأخير من عبارته , وبذلك غفلت عن إدراك ما ورد في الفقرة الأولى من كلمة "هناك" بحسب ما أشار إليه بيده...

كان "هناك" عبارة عن منزلٍ صغيرٍ كئيب., كان ذلك المنزل جاثماً فوق الصخور على رأس خليج نويل تماماً مما يجعله يبدو أشبه بصدفة بحرية كان المدّ قد رماها هناك. كانت على سقف المنزل ماسورة بدلاً من المدخنة, وكانت اثنتان من نوافذه قد استبدلتا بالحصى. تساءلت الآنسة تريفور " هل يمكن أن يعيش هذا الفتى الذي يشبه الأمير في مثل هذا المكان ؟ هذا نادراً ما يحدث !... لابد أنه من عمّال الشاطئ...

سألته بأسف " من الذي يعيش معك هناك ؟ أترى, يجب أن أستفسر عنك ., فأنا أشعر بأن كل منا يميل إلى الآخر وهذا كل ما له أهميته في الحقيقة, لكن هناك بعض الأمور التي قد يكون من المناسب أن يطلع عليها المرء. على سبيل المثال بودي أن أعرف هل لديك أب؟ أم ؟ وهل لديك أشقاء وشقيقات ؟ وما هو سنك؟

لم يجبها بول على الفور, وإنما كان قد ضمّ ذراعيه خلفه ونظر إليها بإعجاب ثم قال:

" أحب الطريقة التي تتحدثين بها . لم أتعرف سابقاً على شخص يتحدث بهذه الطريقة, ما عدا من يرد ذكرهم في الكتب ومن هم من أناس صخوري."

أناس صخورك؟؟.""

قال "أنا في الحادية عشر .ليس لدي أب أو أم . توفوا جميعاً ., أنا أعيش هناك مع" ستيفن كان" وهو رجل رائع يعزف على الكمان ويصطحبني في زورقه لصيد الأسماك., وسوف يشاركني في ذلك عندما سأصبح أكبر سناً., وأنا أحبه جداً وأحب أناسي الصخريين أيضاً..."

كانت الآنسة تريفور تستمتع بحديثه بشكل كبير . كان ذلك الفتى الوحيد من بين جميع من قابلتهم من الأولاد, من تحدّث إليها بالأسلوب الذي كانت ترغب أن يتحدث به, لكما أنه كان قد فهم ملاحظاتها دون الحاجة إلى تفسير. سألته "ما الذي تقصده بأناسك الصخريين"

قال بول " نورا إحداهم وهي الأفضل من بينهم . وأنا أحبها أكثر من الآخرين لأنها كانت أولّهم. هي تعيش حول المنطقة, لها عينان سوداوان وشعر أسود., وهي تعرف كل شيء عن حوريات البحر وعن الأعشاب البحرية. عليك أن تستمعي إلى القصص التي ترويها عن كل ذلك. ثم هناك البحّاران التوأم, هما لا يعيشان في أي مكان لأنهما يُبحران طوال الوقت, لكنهما يأتيان في كثير من الأحيان يأتيان إلى هذا المكان ويتحدثان إلي. هما من الأشخاص المرحين ولديهما كل شيء في هذا العالم, بل وأكثر مما في هذا العالم, لو كنت فقط تعرفين ذلك... هل تعلمين ما حدث ذات مرّة لذلك البحار التوأم الأصغر ؟. حسناً, كان قد أبحر في غابة قمرية, وهي كما تعلمين, خطّ الأثر الذي يتركه القمر البدر على سطح الماء عندما يرتفع عن البحر., كان التوأم الأصغر قد أبحر على طول خط القمر إلى أن وصل إلى القمر. وجد هناك باباً ذهبياً صغيراً, فتحه وأبحر داخل القمر وكانت له هناك الكثير من المغامرات الرائعة...

كتبت عن كل ذلك في دفتر مذكراتي. كما أن هناك سيدة الكهف الذهبية . كنت قد عثرت ذات يوم على كهف كبير إلى جانب الشاطئ, دخلت إليه ووجدت هناك السيدة الذهبية. لتلك السيدة شعر ذهبي يصل إلى قدميها, كانت ترتدي ثوباً يشبه في لمعانه الذهب الصافي., وكانت تحمل قيثارة ذهبية تعزف عليها طوال اليوم -- قد يكون بإمكانك أن تسمعي الموسيقى لو أصغيت جيداً, لكنك ستعتقدين بالتأكيد بأن تلك الموسيقى هي صوت الرياح التي

تهب بين الصخور. لم أتحدث مع نورا مطلقاً عن تلك السيدة الذهبية لأنني أخشى أن يجرح ذلك مشاعرها., فهي تحزن حتى لو صادف أن تحدثت لفترة طويلة مع البحارين التوأمين. وأنا أكره أن أجرح إحساس نورا لأنني أحبها أكثر من جميع الأشخاص الصخريين.

قالت تريفور" بول! ما مدى الصحّة في كل ما رويته الآن؟"

حدّق بها بول باستغراب واعترض قائلاً " لا شيء بالطبع! اعتقدت بأنك سوف تُدركين ذلك على الفور. لو كنت أعلم أنك لن تدركين ذلك لكنت حذّرتك من أنه ليس فيها أي شيء من الصحّة. اعتقدت أنك من النوع الذي قد يُدرك ذلك."

قالت الآنسة تريفور بحماس " أنا هكذا بالطبع ! كنت سأدرك ذلك لو أنني توقفت عن التفكير. حسناً, بدأ الوقت يتأخر, علي الآن أن أعود رغم أنني لست أرغب في ذلك, لكنني سوف أعود من جديد لكي أجتمع بك. ألن تكون هنا بعد ظهر الغد؟"

أجاب الفتى" نعم , لكنني كنت وعدت التوأم الأصغر أن ألقاه إلى جانب الصخور بعد ظهر الغد , لكن بإمكاني أن ألقاه بعد غد . أتعلمين, هذا هو الجيّد في أناس الصخور., بإمكان المرء أن يعتمد عليهم , فهم يكونون هنا كلما رغب المرء في ذلك. لن يهتم التوأم الأصغر بذلك فهو لطيف الطباع. ولكن, يا إلهي, لو كان ذلك الموعد مع التوأم الأكبر!... أستطيع القول بأن التوأم الأكبر حادّ الطباع لذا تُراودني أحياناً بعض الشكوك بشأنه., وأعتقد أنه قد يصبح قرصاناً هذا لو تجرأ على فعل ذلك! أنت لا تعلمين كم يصبح عنيفاً في بعض الأحيان كما أن هناك ما هو غامض فيه بالفعل."

كانت الآنسة تريفور وهي في طريق عودتها إلى الفندق قد تذكرت دفتر المذكرات. حدثت نفسها وهي تبتسم:

" عليّ أن أجعله يُطلعني على ذلك الدفتر. الواقع أن هذا الفتى عبقري بالفطرة. عندما يخطر ببالي أنه قد يصبح بحاراً في المستقبل! ليس بإمكاني أن أفهم كيف سيتم ذلك بدأت أحبه بالفعل . حسناً, يجب أن تميل المرأة لشيء ما. قد لا يحتاج المرء لمعرفة الأشخاص لسنوات طويلة لكي يحبهم."

كان بول بعد ظهيرة اليوم التالي بانتظار الآنسة تريفور على صخور خليج نويل , لكنه لم يكن بمفرده وإنما كان برفقته رجل طويل القامة بوجه ذي تقاطيع خشنة وبلحية يعلوها الشيب. كان يرتدي ملابساً خشنة ويبدو من صيادي الشاطئ. لكن أكثر ما كان يلفت النظر في ذلك الرجل عيناه العميقان الطيبتان. وبذلك كانت الآنسة تريفور قد مالت إليه . كان الرجل عندما وصلت, قد انتقل إلى الطرف الآخر وكان قد وقف هناك لبعض الوقت مُحدقاً بالبحر , بينما

كان بول والآنسة تريفور يتحدثان معاً , ثم توجه نحو الخليج واختفى في بيته الصغير الداكن.

حينئذ قال بول بجدّية " جاء ستيفن معي لكي يتأكد بأن من أن أتحدث إليها سيدة صالحة."

" قالت الآنسة تريفور بضحكة مكبوتة :

" آمل أن يكون قد وجدني كذلك."

قال بول " أووه , هذا بالتأكيد, وإلا لما كان سيذهب ويتركنا بمفردنا!. ستيفن هذا شخص حريص جداً بالنسبة لمن يسمح لي بمعاشرتهم, حتى أنه كان قد طلب مني, قبل أن أصادق التوأم الصخريين, أن أقسم على ألا أدعهما يكيلان الشتائم. أنا أدرك أحياناً من نظرة التوأم الأكبر بأنه يرغب أحياناً بأن يشتم ,لكنني لا أسمح له بذلك لأنني وعدت ستيفن...أنا على استعداد لأن أفعل أي شيء لأجل ستيفن , فهو في غاية الطيبة معي. ستيفن هو الذي ربّاني , أتعلمين كم يحرص على أن يقوم بذلك بشكل جيد ., نحن سعداء تماماً هنا, كل ما أرغب به هو أن يكون لدي المزيد مما أقرأه من الكتب. نحن نذهب معاً إلى الصيد وعندما نعود مساء أساعد ستيفن في تنظيف الأسماك ثم نجلس أمام الباب ويبدأ ستيفن بالعزف على الكمان. نحن نجلس هناك أحياناً لساعات . نحن لا نتحدث كثيراً وإنما نجلس ونفكر., وبإمكاني أن أقول ليس هناك الكثير ممن هم مثل ستيفن...

ولم تتمكن الآنسة تريفور من الاطلاع على دفتر المذكرات لا في ذلك اليوم ولا في الأيام التي تلته . كانت كلما أشارت إلى ذلك يصطبغ وجه بول بالحمرة ويقول بحرج :

" أووه, ليس بإمكاني أن أطلعك عليه ! الحقيقة أنني لم أطلع عليه أحد حتى ستيفن ولا حتى نورا. دعيني أطلعك على أمر آخر بدلاً عن ذلك, وهو أمر حدث معي ذات مرّة ومن زمن بعيد., وسوف تجدينه أكثر تشويقاً من ذلك الدفتر, لكن عليك أن تتذكري بأنه ليس حقيقياً ! عليك ألا تنسي ذلك , هل بإمكانك ذلك؟. "

" وافقت الآنسة تريفور بالقول" سوف أحاول ذلك."

" حسناً, بينما كنت جالساً هنا ذات ليلة في وقت غروب الشمس -- كما كنت في الليلة التي تقابلنا بها-- وصلت إلى البحر سفينة رائعة وصعدت إليها. كانت السفينة متلألئة أشبه بداخل صدفة بحرية وكان شراعها أشبه بضوء القمر. وبذلك أبحرت عبرها باتجاه الغروب. تصوري ذلك! كنت قد أصبحت داخل الغروب ! وما هو الغروب برأيك ؟ الغروب أرض مُغطّاة كلياً بالزهور, وهو أشبه بحديقة جميلة جداً , أما الغيوم فهي مَسكبة (مضجع) تلك الزهور . كنا قد أبحرنا من مرفأ كبير جداً, مرفأ أكبر من الفندق الذي تقيمين فيه بآلاف المرات. ثم ترجلت من

السفينة على سهل كبير من الورود ومكثت هناك لمدة طويلة, لمدة عام كما بدا لي, لكن البحار التوأم الأصغر قال لي بأنني لم أكن قد تغيبت أكثر من بضع ساعات أو ما شابه ذلك... الوقت في أرض الغروب أطول بكثير مما عليه هنا. وأنا الآن سعيد جداً لعودتي إلى هنا, فأنا أشعر دوماً بالسعادة عندما أعود إلى الكوخ والى ستيفن. والآن ! لابد أنك تُدركين بأن كل ما رويته لك لم يكن قد حدث على الإطلاق!.."

لم تكن الآنسة تريفور قد تخلّت بسهولة عن موضوع دفتر المذكرات , لكن بول كان يرفض اطلاعها عليه, وكان ذلك قد دام لفترة طويلة. كانت تأتي يومياً إلى الخليج وتقابل بول الذي كان يُصبح يوماً بعد يوم أكثر قرباً إليها. كان بول فتىً غريب الطباع, كان مرحاً, ذكياً كما كان عفوياً جداً. ومع ذلك , لم يكن فيه ما هو غير ناضج أومأ هو غير سوي. كان بول فتىً بكل معنى الكلمة مُحباً للمزاح والمرح , لكنه لم يكن يُجيد التحكم بما قد يعتريه من وقت لآخر من سرعة الانفعال , رغم أنه , وهذا ما كان قد أعلم به الآنسة تريفور, لم يكن يُظهر ذلك للسيدات. حيث قال:

" قد أغضب جداً من التوأمين البحارين في بعض الأحيان وحتى أنني قد أغضب من ستيفن رغم أنهم جميعاً في غاية الطيبة معي., لكن لا يمكن أن أغضب منك أو من نورا أو من السيدة الذهبية , هذا غير ممكن."

كان لدى بول ما يرويه يومياً للسيدة تريفور من قصّص جديدة عن مغامراته الرائعة على الصخور أوفي البحر , وكان يحرص دوماً على أن يؤكد لها مُسبقاً بأنها ليست واقعية. كانت مخيلة الفتى أشبه بمَوشور يحوّل كل شعاع من نور يقع عليه إلى قوس قزح. كان يُحب الشاطئ والبحر جداً., وكان العالم الوحيد بالنسبة إليه هو العالم لذي يقع إلى أبعد من خليج نويل هو عالم الخيال ., كما لم تكن له من رفقة سوى ستيفن . قال ذات مرة للآنسة تريفور :

"وها هي أنت الآن , أنا أحبك أيضاً لكنني أعلم بأنك سوف تغادرين قبل أن يمر وقت طويل , وبذلك لست أترك لنفسي العنان لأن أحبك تماماً كما أحب ستيفن والصخور."

ثم استغرق في تأملاته بطريقته الساحرة تلك وأعلن أخيراً :

" بإمكاني بالطبع أن أحبك أكثر من البحارين التوأم ومن السيدة الذهبية وأعتقد أيضاً بأن بإمكاني أن أحبك بقدر محبتي لستيفن, ولكن ليس بقدر محبتي لنورا! أووه ! لا , لن أحبك بقدر محبتي لنورا ... كانت الأولى كما ترين وكانت هنا دوماً. أشعر بأنني لن أتمكن, وهذا بالتأكيد, من أن أحب أي شخص كما أحب نورا."

وكان بول ذات يوم , بعد ذهاب ستيفن إلى السيد , قد اصطحب الآنسة تريفور إلى ذلك البيت الصغير وعرض عليها ما لديه من كنوز. ثم تسلقا السُلم في إحدى زوايا العليّة التي ينام

فيها , إلى نافذة صغيرة مربعة تُطلّ على البحر حيث بإمكان المرء أن يسمع من هناك هدير البحر وأنين الرياح ليلاً ونهاراً. كانت لدى بول العديد من المحارات النادرة ومن الأعشاب البحرية والطحالب ومن أجزاء غريبة الشكل من حطام السفن ومن البقايا الطافية لمخلفات السفن, كما كان لديه رفّ صغير مليء بالكتب. قال بول بحماس :

"هذه الكتب رائعة كان ستيفن قد جلبها لي, وهو, في كل مرّة يذهب فيها إلى المدينة لشحن أسماكه ,يجلب لي معه كتاباً جديداً."

سألته الآنسة تريفور" ألم تذهب قطّ إلى المدينة؟"

" أووه , بلى , ذهبت مرتين , اصطحبني إليها ستيفن. كانت مكاناً رائعاً! وكنت بعد عودتي قد تحدثت عن ذلك لأناسي الصخريين ., كان علي أن أعلمهم عما شاهدته وعن كل ما جرى هناك. كما كانت نورا قد اهتمت بذلك للغاية . أما السيدة الذهبية فلم تكن تُصغي إلي. هكذا هم الأشخاص الذهبيين."

سألته الآنسة تريفور وهي ترقبه عن كثب:

" هل ترغب في العيش في المدينة وبأن يكون لديك كل ما تريد الحصول عليه من الكتب, وبأن تلعب مع أصدقاء وصديقات حقيقيين, وأن تزور تلك الأراضي الغريبة التي يتحدث عنها البحارة.

نظر إليها بول بذهول ثم قال بتردّد:

" أنا... لا أدري ... لا أعتقد بأنني سوف أحب كثيراً ألا يكون ستيفن ونورا هناك أيضاً."

لكن تلك الفكرة الجديدة التي كانت الآنسة تريفور قد طرحتها عليه ظلّت معلّقة في ذهنه., وكانت تعود إلى ذهنه بين فترة وأخرى, وكانت في كل مرّة تبدو أقل جدّة وأقلّ غرابة.

تساءلت الآنسة تريفور" لِم لا ؟ يجب أن يحصل هذا الفتى على فرصته. كما لن يكون لي بعد الآن أي أولاد, وسوف يكون بول هو البديل للولد الذي لم أرزق به."

ثم جاء أخيراً اليوم الذي أطلعها فيه بول على دفتر مذكراته ... بعد أن أحضر إليها بول لدفتر وكانت قد جلست على الصخور بجانب البحر قال لها:

" سوف أذهب للتجوّل حول المكان وللتحدث مع نورا بينما تقرئين الدفتر, أخشى أن أكون قد أهملتها مؤخراً – لابدّ بأنها تضايقت من ذلك."

تناولت الآنسة تريفور الدفتر الذي كان عبارة عن عدة أوراق خِيطت معاً وتم تجليدها بغلاف من القماش. كان مليئاً وبكامله تقريباً بكتابات بخطّ يدّ طفولية ., لكنه كان مع ذلك في

غاية الترتيب على الرغم من الأغلاط الإملائية ومن الأغلاط في علامات الوقف والفواصل. كان عبارة عن مزيج غريب من الأفكار الطريفة والتخيّلات , وتملأ العديد من صفحاته الأحاديث المتبادلة بينه وبين البحّارين التوأم ., بينما احتل سرد المغامرات الخاصّة لبول باقي الصفحات. لم تكن الآنسة تريفور قد استغرقت الكثير من الوقت في قراءته بالكامل , لكنها كانت في بعض الأحيان تجد بأن من المستحيل أن يكون من كتب مثل تلك المذكرات فتى لايزال في الحادية عشر., كما كانت في أحيان أخرى تجد فيه بعض العبارات الطفولية الساذجة التي جعلتها تضحك ببهجة. بعد أنهت الآنسة تريفور قراءة الدفتر وأغلقته وجدت ستيفن خلفها.

سألها " ما رأيك بما ورد فيه؟"

" أعتقد بأنه رائع, بول فتى في غاية الذكاء."

قال ستيفن باقتضاب " اعتقدت ذلك دوماً " ثم دسّ يديه في جيوبه وحدقّ بكآبة في البحر.

لم تكن الآنسة تريفور قد وجدت من قبل فرصة التحدث معه في غياب بول, وبذلك قررت أن تستفيد من عدم وجود بول وقالت:

" أود معرفة بعض الأمور المتعلقة ببول , أو بالأحرى كل شيء عنه . هل هو أحد أقاربك ؟"

قال ستيفن دون اكتراث , لاتزال يده في جيبه وقد بدأ يضغط بأسنانه بقوة على غليونه -- لكن لم يكن بإمكان الآنسة تريفور أن تلحظ ذلك :

" حسناً, كان من المفترض أن أتزوج والدته, كانت فتاة جميلة جداً تعيش قرب الشاطئ, لكنها كانت قد أغرمت بحب شاب جاء للتدريس في مدرسة المنطقة ثم تزوجا وذهبت معه. كان ذلك الشاب رجلاً طيباً , هذا ما عرفته الآن , رغم أنني لم أكن في السابق على أي استعداد للتفكير به بشكل إيجابي... لكنها كانت مع ذلك غلطة منها فلم يكن بإمكان راشيل أن تعيش بعيداً عن البحر. كانت قد حزنت جداً وبدأت تتوق إلى البحر الذي كان عالمها وهذا ما أدى إلى أن تحطم قلبها. كانت بعد وفاة زوجها قد عادت إلى المكان الذي تحبه لكن ذلك كان بعد فوات الأوان. لم تعش أكثر من شهر واحد وكان الطفل بول في عامه الثاني...

لم يكن هناك من قد يعتني به ,كما لم يكن لدى راشيل أو لزوجها أي أقرباء., وبذلك أخذته وفعلت كل ما بإمكاني لأجله ... ولكن ربما لم يكن ذلك بالكثير..."

قالت الآنسة تريفور, ولكن بالأحرى بنوع من التنازل:

" أنا متأكدة بأنك قدمت له الكثير , لكنني أعتقد بأن عليه أن يحصل الآن على أكثر مما كان إمكانك أن تمنحه له . يجب أن يتم إرساله إلى مدرسة ؟ "

هزّ ستيفن رأسه تعبيراً عن التأييد وقال:

" ربما! ربما ! لم يكن قد التحق بالمدرسة لأن مدرسة الميناء بعيدة جداً. كنت قد علّمته القراءة والكتابة كما اشتريت له ما كان بإمكاني تأمينه له من كتب, لكن لم يعد بإمكاني أن أفعل أكثر من ذلك لأجله."

قالت الآنسة تريفور:

" لكن بإمكاني أن أفعل ذلك , كما أن لدي الرغبة بأن أفعل ذلك , فهل ستتخلى عن بول لأجلي ؟ سوف يحصل بذلك على جميع الميّزات. أنا ثرية ... وبإمكاني أن أفعل الكثير لأجله."

استمر ستيفن بالتحديق بالبحر ثم قال أخيراً :

" كنت أتوقع أن أسمع منك شيئاً من هذا القبيل , لست أدري . لو اصطحبت بول معك سوف يصبح رجلاً أكثر ذكاء وأكثر غنىً ولكن هل سيكون ذلك من الأفضل له ؟ وهل سيكون أسعد مما هو عليه الآن ؟ هو ابن والدته, وهو يحبّ البحر وأسلوب الحياة فيه. ليس لديه أي شيء من والده ما عدا محبته الشديدة للكتب. لكنني لن أختار له ... بإمكانه أن يذهب معك لو رغب بذلك ... بإمكانه أن يفعل ذلك !."

وكان بول في النهاية قد رغب بذلك., نظراً لأن ستيفن كان قد رفض الإدلاء بالكثير من الحجج بغية التأثير عليه أو لمحاولة إقناعه بالبقاء, مما جعل بول يعتقد بأن ستيفن لم يكن يأبه كثيراً فيما إذا كان سيبقى معه أم سيتركه ويذهب مع الآنسة تريفور... كما كان قد انبهر أيضاً بالآنسة تريفور وبإغراءات الكتب والمعرفة التي سوف تزوده بها.

وبذلك قال وهو يتنهد بعمق:

" أعتقد بأنني سوف أذهب معك."

كانت الآنسة تريفور قد ضمته حينئذ إلي صدرها وقبلته بشعور غامر من الأمومة. كما كان بالمُقابل قد قبّل خدها بحياء وهو يعتقد بأن من الرائع أن يعيش معها على الدوام...

كان قد شعر بالسعادة وبالحماس ., كانت سعادته كبيرة وكان حماسه إلى الحدّ الذي أدى إلى ألا يتأثر كثيراً عندما آن أوان الرحيل...مما جعل الآنسة تريفور تجد بأنه أخذ الأمر بكثير من السهولة., وتشعر بذات الوقت برغبة مُبهمة بأن يكون بول قد أبدى على الأقل قدراً أكبر من الحزن... وكان ستيفن أيضاً قد ودع الفتى الذي يُحبه أكثر من حياته دون أن يُظهر له مقدار ما كان فيه من انفعال عاطفي. , كان قد تردّد للحظة وقال بأناة :

" وداعاً بول , عليك أن تكون ولداً صالحاً, وأن تتعلّم كل ما بإمكانك أن تحصل عليه من العلوم , ولو حدث وشعرت بأنك لم تتأقلم فبإمكانك دوماً أن تعود..."

وكانت الآنسة تريفور عندما انطلقا في طريقهما قد سألته وهي تبتسم" هل ودّعت أصدقاءك الصخريين"

قال بول " لا, لم ... لم أتمكن من ذلك ... لم أعلمهم بأنني سأرحل. سوف يُحطم ذلك قلب نورا. أرجوكِ, من الأفضل ألا أتحدث عنهم بعد الآن. فقد لا أرغب برفقتهم عندما سيكون لدي الكثير من الكتب, والكثيرون ممن سوف ألعب معهم من الفتيات والفتيان."

انتقل بول مع الآنسة تريفور بالسيارة إلى مدينة تبعد مسافة تقارب العشرة أميال لكي القطار في اليوم التالي . وكانت الآنسة تريفور بعد تناولهما الشاي في منزل إحدى صديقاتها التي كانا سيمضيان الليلة معها قبل إكمال رحلتهما , قد اصطحبت بول في نزهة إلى إحدى الحدائق. كان بول بعد عودتهما متعباً وهادئاً , لذا أرسل للنوم في غرفة نوم فاخرة الأثاث كانت قد أفزعته بروعتها وذلك كان بقي وحيداً هناك...

استلقى بول في البداية بكل سكون على الوسائد المُترفة العُطرة. كانت تلك هي الليلة الأولى التي سيُمضيها بعيداً عن العليّة التي تطلّ على البحر التي بإمكانه أن يلمس سقفها المائل بيده . كان بول عندما تذكر ذلك قد أحسّ بثقل على صدره, وانتابه شعور غريب بالحنين, كان قد افتقد صوت ارتطام مياه البحر فوق الصخور., ولم يكن بإمكانه أن ينام بدون تلك التهويدة. دسّ وجهه في الوسادة لكن شعوره بالحنين و بالوحدة تصاعدا وأصبحا أسوأ فأسوأ وبدآ يتسببا له بألم في صدره مما جعله يتأوه. آه.. كم كان يرغب بالعودة إلى منزله!... لا, من المؤكد أنه لم يكن قد رغب بمغادرته... نعم, لم يكن يقصد أبداً أن يغادر منزله. هناك تلمع النجوم الآن فوق الميناء., سيكون ستيفن جالساً أمام الباب , وحيداً تماماً مع كمانه. لكنه لن يعزف عليه... سيكون جالساً هناك مُحنياً رأسه... لابد أن ما يعتري قلبه الآن من شعور الوحدة ينادي, عبر الأميال التي تفصل بينهما, شعور الوحدة في قلب بول. آه!.. لا يمكن أن يكون قد قصد بالفعل الرحيل عن ستيفن.

وما ذا عن نورا ؟ ستكون نورا الآن جالسة بانتظاره فوق الصخور... نعم, هي الآن بانتظاره بشوق ... بانتظاره هو بول الذي لن يأتي إليها بعد الآن... وهو يكاد برى أمامه الآن وجهها الفاتن وهي تنقل نظرها حول المنطقة بكل شوق بانتظار قدومه.

جلس بول في السرير تخنقه دموعه. آه..! ما هي أهمية الكتب والمدن الغريبة ؟... ومن هي الآنسة تريفور , صديقة شهر واحد؟ بالمقارنة بنداء البحر وبستيفن الطيّب وبالعيون

العميقة لأناس الصخور؟ لا... لا ... ليس بإمكانه أن يُبعد عنهم على الإطلاق ... على الإطلاق...

انسلّ بهدوء خارج السرير , وبعد أن ارتدى ملابسه في الظلام, كان قد أضاء المصباح قليلاً وفتح الصندوق الصغير الذي كان ستيفن قد أعطاه له قبل سفره, ذلك الصندوق الذي يحتوي على كتبه وعلى كنوزه, أخرج منه قلماً وقطعة صغيرة من الورق وكذلك دفتر مذكراته. ثم كان بيدّ مرتعشة لكثرة ما كان فيه من لهفة , قد كتب فيها ما يلي :

" عزيزتي الآنسة تريفور!

أنا عائد إلى منزلي, لا تقلقي علي لأنني أعرف الطريق. علي أن أعود... هناك ما يناديني ... لا تتضايقي فأنا أحبك ولكن ليس بإمكاني البقاء... تركت لك دفتر مذكراتي , بإمكانك أن تحتفظي به ... لكن علي بالفعل أن أعود إلى ستيفن وإلى نورا.

بول

وضع تلك الحاشية الصغيرة ودفتر المذكرات على الطاولة, ثم أطفأ المصباح وتناول معطفه وخرج بهدوء. كان المنزل هادئاً جداً. كتم أنفاسه ونزل السلالم على رؤوس أصابعه ثم فتح الباب الأمامي وخرج . كان يعرف الطريق التي تقود مباشرة إلى منزله., لكنه عندما وصل إلى جانب الطريق اصطدم بكلب مسعور. كان الوقت متأخراً ولم يكن هناك أحد في ذلك الشارع الهادئ. ركض بول إلى أن كاد يتوقف عن التنفس, ثم مشى على نحو يُثير الشفقة إلى أن تمكن من التقاط أنفاسه, وعاد بعد ذلك للركض من جديد, ولم يجرؤ على التوقف عن الركض إلى أن أصبح خارج تلك المدينة البغيضة التي تبدو أشبه بسجن كان ينغلق حوله, وعن ذلك المنزل الذي يحجب عنه رؤية النجوم حيث تزحف الريح فيه من خلال المناطق الضيقة فقط أشبه بالأشياء المقيدة الذليلة بدلاً من أن تهبّ بكبرياء فوق المناطق الشاسعة للبحر.

ثم بدأت المنازل تصبح أقل وأكثر تباعداً إلى أن تركها خلف ظهره. سحب نفساً عميقاً, كان ذلك أفضل., كان بالأحرى خانقاً بالطبع فلم تكن حوله أية هضاب أو حقول أو غابات كثيفة في كل مكان , واستمر في السير إلى أن أصبحت سمائه أخيراً فوق رأسه , كانت تبدو تماماً كما هي في كوخه في خليج نويل ... تعرّف على النجوم وكأنهم أصدقائه, فكم من مرّة كان ستيفن قد أشار إليها عندما كانا يجلسان معاً إلى جانب باب ذلك البيت الصغير.

لم يعد الآن يشعر بالخوف على الإطلاق. كان يعرف الطريق إلى منزله, وكانت كل خطوة تُقرّبه من خليج نويل ومن نورا ومن ستيفن ومن أصدقائه الصخريين . بدأ يُصفّر وهو يتوجه إلى الأمام بكل ثبات.

وصل إلى خليج نويل عندما كان الفجر على وشك البزوغ

كانت السماء فوق الميناء من ناحية الشرق بلون أزرق سماوي رائع الجمال, وكانت الريح تهبّ من هناك لاذعة ومنعشة. كان بول في غاية الإرهاق لكنه ركض بخفّة على الصخور المنحدرة إلى جانب الخليج. كان ستيفن هناك على وشك إنزال زورقه إلى البحر .. وكان عندما شاهد بول قد حدّق به ولمع على وجهه تعبير غريب من الجذل والبهجة .

شعر بول فجأة بالبرد... كانت طفرة بهجته قد كبحت في مهدها. فلم يكن قد غامره الشك وهو في طريقه إلى منزل, في ذلك الطريق الطويل المتعب, نعم , لم يكن قد غامره أي شك بالتأكيد طوال ذلك الطريق ... ولكن الآن؟

ثم صاح " ستيفن! ها قد عدت ! كان علي أن أفعل ذلك !... كان علي ذلك !... ستيفن! هل أنت سعيد ؟ هل أنت سعيد بعودتي ؟"

كان وجه ستيفن خالياً من أي تعبير أكثر من أي وقت مضى, لأن ذلك الانفجار العاطفي الذي يخشاه بول كان قد مرّ بحكم العادة أشبه بتفشي لمحة سريعة من ضوء الشمس بين الغيوم المتلبدة, ثم قال:

" أعتقد بأنني سعيد بعودتك ... نعم أنا كذلك ... كنت بعض الشيء آمل أن تعود ... من الأفضل أن تذهب الآن لكي تتناول إفطارك..."

وبذلك كانت عينا بول قد أشرقتا أشبه ببزوغ الفجر , ذلك لأنه أدرك بأن ستيفن كان مسروراً بعودته , كما أدرك بأنه لم تعد هناك حاجة للمزيد من الكلام... وبأن كل شيء بينهما قد عاد الآن كما كان في السابق قبل مجيء الآنسة تريفور ... عادا إلى تلك الرفقة المثالية التي لا يمكن أن يُفسدها شيء...

قال بول" سوف أذهب أولاً لرؤية نورا وسأعود بعد ذلك لتناول إفطاري..."

غير المَنسية

للكاتبة لوسي مونتغومري

كانت تلك ليلة الميلاد . لم يكن هناك أي جليد أو ثلوج أو رعد وبرق., وإنما كانت ليلة معتدلة تُزين سماءها نجوم خافتة الضياء. وكانت نسمات لطيفة تهب بين الفينة والفينة بين أشجار التنّوب وفي الأعشاب الذابلة المنتشرة في كل مكان على طول ممرات الحديقة , ويصدر عنها حفيف خافت. كانت تلك الليلة أشبه بليلة من ليالي مطلع الربيع أو من ليلي نهاية الخريف أكثر من ليلة في شهر كانون الأول (ديسمبر)., لكنها ليلة الميلاد ... كان هناك ضوء يتوهج من خلال الظلام خلف كل نافذة من نوافذ "إنكليساید" أشبه بوردة حمراء تتمايل بين نباتات دائمة الخضرة.

كان الأطفال في طريق عودتهم إلى المنزل , بعد أداء صلاة الميلاد .., كانوا كعادتهم : فريتز ومارغريت معاً, ولادي برفقة نورا , واثنان من أولاد روبرت بالنيابة عن روبرت الذي كان قد توفي من أربعة عشر عاماً . وبذلك كان من الضروري أن تكون كافة التحضيرات قد أعدّت لكي يتم استقبالهم أحسن استقبال في بيت العائلة , من أضواء بهيجة ومأكولات شهيّة وترحيب حّار..

كان الطبيب فريتز وصغاره آخر القادمين., دخلوا الفناء بين نباح الكلاب وصيحات التهاني البهيجة التي استقبلهم بها الجميع أمام الباب. قالت الأم وهي تعانق أول أولادها وتقبّل وجهه :

" ها قد أصبح الجميع هنا "

ثم كان هناك الكثير من القبلات ومن تبادل الأمنيات ومن الضحكات. لكن ناني كانت الوحيدة بين تلك المجموعة التي كانت قد اعتزلت الجميع ووقفت بعيداً في ظلّ موقد غرفة الجلوس . كتمت ناني نشيج امتعاض ومسحت بيديها الصغيرتين دموع المرارة التي كانت تسيل على خديها. ثم تمتمت بين دموعها :

" لا, لسنا جميعاً هنا. الآنسة إيفيس ليست هنا... آه! ...

كيف بإمكانهم أن يكونوا بمثل هذه البهجة ؟ كيف بإمكانهم أن ينسوها."

لكن لم يكن هناك من سمع أو التفت إلى ناني, فلم تكن سوى الفتاة اليتيمة الصغيرة , فتاة تعيش في إنكليساید على الإحسان. صحيح أنهم كانوا جميعاً بغاية الطيبة معها, وبأنهم يحبونها كثيراً , لكنهم قد ينسونها عن غير قصد في مثل تلك المناسبات التي تكون فيها الاجتماعات عائلية .., فلم تكن توحدّها معهم رابطة الدم, وبذلك كانت تُترك على الفَضلة...

لم تكن ناني تتحّسس مطلقاً من ذلك, وكان كل ذلك من الطبيعي بالنسبة إليها., لكن قلبها كان مُحطّماً في تلك الليلة لأنها شعرت بأنهم لم يتذكّروا الآنسة إيفيس...

كانوا قد تجتمّعوا بعد العشاء أمام موقد غرفة الجلوس الذي تم تزينه بمناسبة ليلة عيد الميلاد بالنباتات الخضراء وبنباتات ثمر العلّيق., حيث كان من المتعارف عليه بينهم أن يتجمّعوا على شكل دائرة حول الموقد, وأن يُحدّث كل منهم الآخر عما جلبه له العام الفائت من خير وشرّ ومن حزن وبهجة. لكن الدائرة كان ينقصها شخص واحد هذا العام, ومع ذلك, لم يكن أي منهم قد تحدث عن ذلك...

كانت هناك ابتسامة على كل وجه وكان هناك نغمة سعادة في صوت كل منهم.

جلست الأم وجلس بجانبها الأب في وسط الدائرة , بشعرهما الأشيب ووجهيهما الجميلين اللذين ترتسم عليهما قصة حياتهما المُترفة., وجلس الطبيب فريتز على الأرض إلى جانب الأم أشبه بصبي صغير., كان رأسه الكبير الأشيب الشبيه برأس والده على حجرها وكانت إحدى يديه القويتين الناعمتين , اللتين تُشبهان بنعومتهما يدي امرأة على طاولة العمليات , تُمسكان بيدها. كما جلست إلى جانبها نورا الرقيقة ذات السنوات العشرين التي لازالت أشبه بطفلة على الرغم من أنها مُدرسة في المدرسة الحكومية. كانت النيران القرمزية تنعكس على وجهها الفَتيّ الجميل الذي يُتوّجه شعر أشقر ناعم, وعلى عينيها الزرقاوين الحالمتين وعلى وجنتيها وصدرها. كان في أحد أصابعها خاتم من اللؤلؤ, لم يكن فيه في اجتماع ليلة الميلاد في العام الماضي. وكان لادي , الذي يبدو أشبه بشخص من طراز بدائي لا يمكن أن يشاهد المرء مثله سوى في كتب القديسين, جالساً إلى جانب الموقد ., ولادي هذا شاب وسيم يَشعّ المرح من عينيه. كما جلست في الجهة الأخرى مارغريت يدها بيد والدها ., وهي امرأة تتميّز برقّة طباعها., ثم كان هناك أيضاً طفليّ روبرت التوأم اللذين يُشبه كل منهما الآخر بحيث يتعذّر معرفة من منهما سيسيل ومن هو سايد.

كان زوج مارغريت وزوجة فريتز يُلاعبان الأولاد في الردهة تصل صيحاتهم المرحة إلى الرواق. كان بإمكان ناني أن تكون معهم لو رغبت في ذلك, لكنها فضلّت البقاء بمفردها

في الزاوية المظلمة للرواق, وأن تحدّق بعينين حسودتين تعيستين بتلك المجموعة المُرحة وأن تستمع إلى أحاديثهم ونِكاتهم وضحكاتهم وبداخلها احتجاج غير مجدٍ. آه !.. كيف بإمكانهم أن ينسوها بهذه السرعة ؟...لم يمرّ بعد عام كامل على وفاة الآنسة إيفيس... كانت في ليلة عيد الميلاد الفائت جالسة بينهم هنا حول الموقد. كان حضورها اللطيف الورع يجعل منه مركزاً للعائلة حتى بأكثر من حضور الأم والأب. والآن...ها هي نجوم شهر كانون الأول (ديسمبر) تلمع فوق قبرها بينما ليس هناك من يتذكرها في هذا الجَمع السعيد المرح . لم يتم النطق باسمها ولا حتى مرة واحدة., ويبدو أن حتى هذا الكلب العجوز قد نسيها وها قد جلس الآن إلى جانب مرغريت بغبطة يُحدّق بالموقد ويُرمش بعينيه بغبطة ..

همست ناني وهي تسمع ضحكة من القلب استقبلت بها قصّة رواها الدكتور فريتز:

" لم يعد بإمكاني الاحتمال أكثر من ذلك !"

ثم تسلّلت إلى المطبخ . ارتدت معطفها وقبعتها وتناولت إكليلاً صغيراً من زهور الياس البري من صندوق كان تحت الطاولة وهي تُحدث نفسها :

" كانت الآنسة إيفيس تُحبّ الياس البرّي... كانت تُحبّ كل ما ينمو من نباتات خضراء.

وعندما فتحت باب المطبخ لكي تخرج شعرت بلمسة باردة على يدها ., كان الكلب العجوز واقفاً هناك يهزّ ذيله وينظر إليها بعينين حزينتين, وكأنه يرجوها بصمت أن تصطحبه معها.

قالت ناني وهي تُربت على رأسه:

" فإذن أنت أيضاً تتذكرها جيبي! فإذا لتأت معي."

تسلّلا معاً في العِتمة. كان الظلام دامساً لكن المنزل لم يكن بعيداً جداً عن المقبرة, التي تقع إلى جانب الطريق خارج منطقة الأعشاب الخضراء. توجهت ناني مباشرة إلى نقطة ظليلة , ركعت على الأعشاب الذابلة ووضعت الإكليل على قبر الآنسة إيفيس .,أخذت دموعها تتساقط على حافته ثم أجهشت بالبكاء وهي تقول:

" آه... آنسة إيفيس ! آنسة إيفيس" أنا افتقدك كثيراً ! لا يمكن أن يكون هناك عيد ميلاد بدونك... كنت دوماً طيبة ولطيفة للغاية معي ... لا يمكن أن يمرّ يوم دون أن أتذكرك وأتذكر كل العبارات الرقيقة التي كنت تقولينها لي... أنا أحاول أن أكون فتاة صالحة كما أردت مني أن أكون, لكنني أكره أن ينسوك... نعم! أنا أتألم لذلك! لن أنسك أبداً يا آنسة إيفيس الغالية! وأنا أفضل أن أبقى معك هنا بمفردي معك وفي الظلام من أن أعود إليهم."

ثم جلست ناني الصغيرة إلى جانب القبر, وتمدّد الكلب العجوز إلى جانبها على التراب وثبّت نظره على لوح الرخام الأبيض. كان الظلام دامساً بحيث لم يكن بإمكان ناني أن تقرأ العبارات المكتوبة عليه لكنها كانت تعرف غيباً كل كلمة كُتبت عليه .

" ذكرى الغالية إيفيس ميوود توفيت في 20 كانون الثاني (يناير) من العام 1902 وفي سن ال 45. "

كما كُتبت تحتها بعض العبارات التي كانت المتوفاة اختارتها بنفسها وأوصت بكتابتها:

"لا تتمنوا لي ليلة سعيدة, وإنما تمنوا لي صباحاً جميلاً في يوم مُشرق."

ولكن , آه! ...ها قد نسيها الجميع , نعم , نسيها الجميع الآن !

بعد أن مرّت ساعة على جلوس ناني إلى جانب القبر كانت قد شعرت فجأة بالفزع لدى سماعها وقع أقدام تقترب من القبر . وبما أنها لم ترغب بأن يراها أحد هناك , زحفت بسكون واختبأت خلف شاهدة الضريح في ظلّ شجرة الصفصاف وتبعها الكلب العجوز إلى هناك...

كان ذلك الدكتور فريتز. كان يتوجه إلى الضريح وهو يعتقد بأنه سوف يكون بمفرده مع المُتوفاة., وبذلك ركع إلى جانب القبر ووضع رأسه على الشاهدة. وقال برقّة:

" إيفيس! إيفيس العزيزة ! جئت الليلة لكي أزورك في قبرك لأنني شعرت بأنني سوف أكون هنا أقرب إليك من أي مكان آخر., ولأنني أرغب بالتحدث إليك كما كنت أفعل منذ طفولتنا في كل ليلة عيد ميلاد... صديقتي الغالية العطوفة إيفيس! افتقدتك كثيراً هذه الليلة, ليس من كلمات قد تعبر عن مقدار ما أحنّ إليك., وإلى انعكاس نيران الموقد على وجهك اللطيف وإلى استقبالك الودّي لي... مرارة الفراق تعتصر قلبي ...لم يكن بإمكاني حتى أن أتلفظ باسمك وسط كل تلك المجموعة المرحة وتلك الرفقة الطيبة ... كنت أشعر بحزن شديد بمجرد النظر إلى مقعدك الخالي. إيفيس , أريد أن أعلمك بما حققته خلال العام الفائت : تمّ إثبات نظريتي وبذلك تمّ تبنيها وهذا ما حقق لي الكثير من النجاح والشهرة. كنت قد تحدثت إليك عن ذلك في العام الماضي , وكنتِ قد استمعت إليّ وآمنت بما قلته رغم أنه لم يكن قد أُثبت بعد... إيفيس الغالية ! شكراً من جديد على كل ما منحتني من ثقة ولإيمانك بي ولما كُنته لي , وأنت لا تزالين كذلك بالنسبة إلي... جلبت لك ورودك وهي ورود نضرة بيضاء وعَطرة كما كنت أنت طوال حياتك..."

وعلى إثر انسحاب الدكتور فريتز , وصل إلى مسامع ناني صوت وقع أقدام تُسرع إلى القبر مما منعها من النهوض. كان ذلك لادي , لادي المرح اللامُبالي العديم الإحساس (كما كانت سابقاً فكرتها عنه).

قال لادي : " ورود؟ هذا يعني أن فريتز كان هنا ! إيفيس العزيزة ! جلبت لك زهور السوسن. آه إيفيس!... أنا أفتقدك كثيراً ... كنت مرحة وطيبة للغاية, وكنت تَفهمين الناس جيداً . جئت الليلة لكي أقول لك بأنني أفتقدك كثيراً. يبدو المنزل شبه خالٍ بدونك. إيفيس, أنا أحاول أن أكون رجلاً أفضل, وحتى أفضل مما كنت تريدين مني أن أكونه. امتنعت عن كل ما كنت فيه من طيش , وأنا أحاول أن أرتقي بنفسي إلى المستوى الأخلاقي الذي كنته أنت... كان الوضع أفضل عندما كنت طفلاً, حيث كان من السهل عليّ أن أشعر بالراحة عندما أُفضي لك بما في نفسي. نعم, صحيح أنني أنعم بأفضل أم في العالم , لكننا أنت وأنا كنا أفضل صديقين حميمين, ألم نكن كذلك إيفيس؟"

شعرت بأن علي أن أهرب الليلة إلى هنا وأن أتخلص من كل ما يُثقل كاهلي بالبكاء على قبرك كالطفل. لو كان أحدهم قد تحدث عنك لكنت سوف أحيّيه!..."

ثم كان لادي قد جفل فجأة لدى سماعه وقع أقدام تقترب خلفه, كانا أولاد روبرت . كانوا قد جاؤوا خِفية لزيارة القبر, وكانوا على وشك أن يعودوا على أدراجهم عندما وجدوا شخصاً هناك.

قال لادي بصوت أجش" مرحباً, وهكذا جئتم أنتم أيضاً لزيارتها !"

قال سيسيل بكآبة " نعم, كان... كان علينا أن نفعل ذلك. لم يكن بإمكاننا أن نأوي إلى فراشنا , يبدو كل شيء موحشاً بدون ابنة العم إيفيس."

وقال سايد " كانت طيبة جداً معنا "

قال سيسيل تخنقه دموعه " كانت تتحدث معنا بكل لطف لكنها كانت أيضاً تحب المرح."

قال لادي بصوت خفيض:

" أيها الأولاد , لا تنسوا أبداً ما كانت تقوله لكم ابنة العم إيفيس, عليكم أن تُصبحوا رجالاً لكي تفخر بكم "

ثم غادر الجميع معاً , الأولاد وعمهم .

وعلى الفور من مغادرتهم جاءت نورا وهي تتسلل في الظلام من بدء هبوب الرياح بين الأشجار.

همست " آه... إيفيس كم أرغب برؤيتك ! أود أن أروي لك كل شيء... عن ..عنه. ... كنت ستفهمينني تماماً. فهو أعزّ وأفضل حبيب قد تحصل عليه فتاة. كنت أنت أيضاً ستعتقدين ذلك...آه إيفيس! إيفيس, أنا أفتقدك جداً! وحتى أن هناك ما يُعكر صَفو سعادتي لأن ليس

بإمكاني أن أتحدث معك عن الأمر كما كنت أفعل سابقاً... أود أن أشعر بوجودك إلى جانبي, أردت أن أراك إيفيس الغالية , كنت دوماً معنا..."

بعد أن غادرت نورا المقبرة وهي تُجهش بالبكاء جاءت مارغريت , مارغريت الصارمة الجديّة وقالت:

" ابنة عمي الغالية, العزيزة علي كأخت لي. وجدت بأن علي أن أزورك الليلة. ليس بإمكاني أن أصف لك كم أفتقدك , وكم أفتقد نصائحك وأحكامك العقلانية البعيدة النظر, وكم أفتقد صحبتك المأمونة. أردت أن أعلمك بأنني رزقت في العام الماضي بطفل , إيفيس! كم كنت ستسرين بذلك لأنك تعلمين أكثر من أي شخص سنوات المرارة التي عشتها قبل ذلك, وكم كنا سنسعد بالتحدث معاً عن طفلي, كنا سنتشارك في تنشئته نشأة جيدة إيفيس ! إيفيس , ترك لي فقدانك فراغاً لا يمكن أن يملأه أحد!..."

كانت مارغريت لاتزال واقفة إلى جانب القبر عندما جاء العجوزان.

قالت" أمي ! أبي! أليس الطقس بارداً لمجيئكم إلى هنا "

قالت الأم " لا مارغريت , لم يكن بإمكاني أن آوي إلى فراشي دون أن أزور قبر إيفيس. ربيتها مذ كانت طفلة, حيث كانت والدتها وهي على فراش الموت قد عهدت بها إلي. كانت بالنسبة إلي كالابنة تماماً ومثلكم جميعاً, وأنا أفتقدها جداً, طوال الوقت, وفي كل يوم, وفي كل لحظة!..."

وقال الوالد العجوز بصوت مُتهدّج: يفتقدها الجميع , كنا جميعاً نحبها , كانت فتاة طيبة , إيفيس فتاة طيبة جداً , ليلة سعيدة إيفيس."

قالت مارغريت برقّة " لا تقل ليلة سعيدة, وإنما لتقل لها ذات صباح مُشرق عِمت صباحاً , كانت تلك رغبتها كما تعلم . لنعد الآن , بدأ الوقت يتأخر. "

كانت ناني عندما غادر الجميع قد انسلّت ناني من الجهة المظلمة . كان قد خطر ببالها بأنه لم يكن من المناسب أن تُصغي إلى أحاديثهم لكنها كانت قد شعرت بالحياء, وبذلك لم تكن قد أعلنت عن وجودها لمن جاؤوا لزيارة قبر إيفيس. لكن قلبها كان قد امتلأ بالبهجة والسعادة وقالت:

" آه! آنسة إيفيس! أنا سعيدة جداً, سعيدة جداً ! لم ينسوك . لم ينسك أي منهم . أنا آسفة لأنني كنت قاسية في حكمي عليهم. وأنا الآن في غاية السعادة لأنهم لم ينسوك., وقد ازدادت محبتي لهم أكثر لأنهم فعلوا ذلك....

طفل في القبر

للكاتب هانس كريستيان أندرسون

كان ذلك اليوم يوماً حزيناً جداً, وكانت قلوب كل من في المنزل قد انفطرت من الأسى., ذلك لأن أصغر الأطفال, طفل لم يكن قد بلغ بعد سوى الرابعة قد توفي., وكانت فرحة وأمل وسعادة الأهل قد ماتت معه... بقيت ابنتان أكبر سناً : كانت الاثنتان فتيات صالحات وجميلات., لكن المرء عندما يفقد أحد أولاده يشعر دوماً بأن من فَقده منهم هو الولد الأغلى من بينهم. وعندما يكون ذلك الطفل المتوفى الطفل الأصغر سناً والصبي الوحيد فلابد أن تكون المأساة حينئذ أكثر كآبة.

حزنت الشقيقتان كما تحزن القلوب الصغيرة وكان ما ضاعف حزنهما مشاهدتهما ما كان فيه والديهما من أسى عميق... كان قلب الأب قد أذعن لقضاء الله, لكن الأم كانت قد غرقت تماماً في أحزانها.

كانت قد انكبت على رعاية الطفل المريض ليلاً نهاراً., مرّضته ورعته وحملته على صدرها كما لو أنه كان جزءاً من نفسها., ولم يكن بإمكانها أن تتقبّل واقع موت الطفل, وبأنه يجب أن يوضع في تابوت لكي يرقد رقدته الأخيرة تحت الأرض...

كانت قد أملت بألا يأخذ منها الله (عزّ وجلّ) حبيبها الصغير. وكانت عندما حدث ما خالف آمالها وتوقعاتها, وعندما لم يعد هناك أي شك بما حدث, قد قالت بكَرب مَحموم:

" لم يكن الله من قدّر موت ولدي , لكن كانت تلك الأرواح الشريرة التي تتحكم بالأرض وتعمل وفق إرادتها دون أن تأبه بدعوات أم بائسة..."

وبذلك كانت, بما أصيبت به من حزن عميق قطع نياط قلبها, قد سقطت في هاوية الخطيئة... بدأ إيمانها يتزعزع وبدأت الأفكار السوداء تغزو ذهنها حول الموت وحول الحالة المستقبلية بعد الموت. حاولت جاهدة أن تتقبّل أن الإنسان ليس سوى مخلوق من تراب وبأن

حياته ووجوده بيد الله (عزّ وجلّ) ولابد أن ينتهيا بموته . لكن كل تلك الأفكار العقلانية لم تكن لتجعلها تشعر بالسكينة. كانت قد أصبحت في حالة من اليأس بحيث كان من المستحيل أن يتمكن أحد من سبر أغوار نفسها . وكانت في تلك الساعات العصيبة قد توقفت عن البكاء , وحتى أنها لم تعد تفكر بأنه لازال لديها ابنتين , كما لم تعد تلحظ أو تأبه لدموع زوجها التي كانت تبلل جبينها. كانت أفكارها كُلياً مع الطفل المتوفى., وكأن وجودها بالكامل قد طُوّق بذكريات ذلك الصغير الغالي, وبكل كلمة بريئة كان قد تفوّه بها.

ولم تكن الأم عندما جاء يوم التشييع الأخير لذلك لطفل الصغير, قد ذاقت طعم النوم لليالي طويلة , لكنها في فجر ذلك اليوم كانت, لشدّة الإرهاق, قد غرقت في نوم عميق في الوقت الذي تم فيه حمل النعش إلى غرفة بعيدة حيث تم إغلاقه هناك لتجنيبها سماع صوت ضربات المطرقة... وعندما استيقظت الأم البائسة ورغبت برؤية طفلها للمرة الأخيرة قال لها زوجها وهو يزرف الدموع :

" قمنا بإغلاق التابوت! كان من الضروري أن نفعل ذلك.!"

قالت الزوجة المفجعة وهي تنتحب وقد فقدت صوابها لشدة الحزن:

" إن كان الله (عز وجلّ) لم يجب دعواتي فكيف بإمكاني أن أتوقع ذلك من البشر..."

ثم تم حمل النعش إلى القبر بينما جلست الأم الحزينة مع ابنتيها. كانت تنظر إليهما دون أن تراهما لأن أفكارها كانت في مكان بعيد, مكان بعيد جداً عن بيت العائلة. كانت قد استسلمت كلياً لحزنها وكانت لشدة حزنها تتمايل من الأمام إلى الوراء كما قد تُقاذف أمواج البحر سفينة دون بوصلة .

مرّ يوم الدفن وتلته أيام مُماثلة من الحزن ومن الألم النفسي الُمضنِ . كان الزوج المُبتلى والابنتان الحزينتان يحاولون تعزيتها بعيون تملأها الدموع وبنظرات يملأها الأسى, لكنها لم تكن تتقبل منهم حتى سماع عبارات المواساة., وبالفعل , فماهي عبارات العزاء التي بإمكان المرء أن يقولوها في الوقت الذي يكون فيه قلبه يكاد ينفطر من الأسى...؟

لم يعد بإمكانها أن تنام على الإطلاق مع أن النوم كان الوسيلة الوحيدة التي قد تساعدها بما سيمنحها من قوة بدنية وبما سيغمر به روحها من سكينة., إلى أن تمكّنوا أخيراً من إقناعها بأن تتمدد فقط على سريرها. وبذلك كانت تتمدد في سريرها وتبقى ساكنة كما لو أنها استسلمت للنوم.

وذات ليلة, كان زوجها قد أصغى إلى أنفاسها كما يفعل دوماً كان قد وجدها ساكنة تماماً مما جعله يعتقد بأنها كانت قد وجدت أخيراً الراحة والعزاء بالنوم. ضمّ الزوج الحزين يديه معاً

وأخذ يُصلّي شكراً لله إلى أن استغرق في نوم عميق., وبذلك لم يشعر بزوجته التي نهضت من فراشها وارتدت ملابسها ثم تسلّلت خارج المنزل بكل هدوء لكي تذهب إلى المكان الذي تهيم حوله أفكارها باستمرار... ذهبت إلى قبر طفلها...

توجّهت إلى المدفن عبر الحقل., ولم يرها أحد وهي تمشي أشبه بشبح كما لم تكن قد رأت أحد. كان نظرها موجّهاً نحو الشيء الوحيد الذي كان ذهنها يطوف حوله.

كانت تلك الليلة من ليالي أوائل شهر أيلول (سبتمبر), ليلة جميلة تُضيئها النجوم وكان الجو عليلاً وساكناً. دخلت فناء المقبرة ووقفت أمام القبر الصغير الذي يبدو أشبه بباقة من الزهور العَطِرة. جلست وانحنت برأسها نحو القبر كما لو أن بإمكانها أن ترى طفلها من خلال التراب الذي يُغطيه... طفلها الصغير الذي ليس بإمكانها أن تنسى ابتسامته المُفعمة بالحيوية , ولا أن تنسى ذلك التعبير اللطيف الذي كان يبدو في عينيه حتى عندما كان على فراش المرض. كم كانت نظرته إليها مُفعمة بالعاطفة . كانت تنحني عليه وتُمسك بين يديها بيده الشاحبة التي لم يعد بإمكانه أن يرفعها!.. كانت تجلس إلى جانب سريره النقّال الصغير وها هي الآن جالسةً إلى جانب قبره... بإمكانها الآن أن تبكي هنا بكل حريّة... وبدأت دموعها تنهمر بغزارة على القبر. ثم سمعت فجأة صوت من يُحّدثها عن قرب. كان ذلك الصوت عميقاً جداً لكنه كان واضحاً بحيث يصل إلى قلبها:

" أنت تتمنين الآن لو كان بإمكانك النزول إلى القبر لكي تكوني إلى جانب طفلك. أليس كذلك ؟ "

نظرت إلى الأعلى. وجدت إلى جانبها رجلاً ملتفاً بعباءة سوداء حُجب وجهه تماماً بغطاء يستر الرأس والعنق معاً., لكنها تمكنت بنظرها الثاقب من أن تتبيّن ملامحه, كانت نظرته متجهّمة لكنها توحي بالثقة وكانت العينان تشعان بألق الشباب.

ردّدت ما قاله بنبرة من اليأس والتضرّع :

"أتمنى أن أنزل إلى تحت... إلى طفلي "

سألها ذلك الشكل " هل تجرؤين على ذلك ؟ أنا الموت."

أحنت رأسها دِلالة على القبول. وفجأة, بدا لها بأن النجوم أخذت تلمع وبأن القمر البدر يُلقي بنوره على الزهور المتعددة الألوان التي تنتشر فوق ذلك القبر الصغير.

ثم أزيحت التربة التي تكسو القبر أشبه بستارة عائمة, وغاصت الأم إلى الأسفل. كان الشبح قد كساها برداء أسود وكان الظلام الدامس قد انغلق حولها ولفّها بظلمة الموت...غاصت بعمق أكثر فأكثر وأكثر مما بإمكان أي مِجراف أن يخترق التربة , إلى أن أصبح فناء المقبرة

فوق رأسها. ثم تم كشف الرداء الذي كان يُغطيها ووجدت نفسها في ساحة واسعة ذات أبعاد شاسعة يسطع فيها نور أشبه بضوء الفجر., وكان طفلها خلال لحظة قد ظهر أمامها وهو يبتسم... كان أجمل من أي وقت مضى . ضمته إلى صدرها بصَيحة مكتومة. ثم سمعت من بعيد ... من بعيد جداً ... صوت ألحان موسيقية رائعة. ثم أصبحت تلك الألحان أقرب فأقرب... لم يكن قد سبق لها أن سمعت مثل تلك الألحان العذبة., كانت الألحان تصل إلى مسامعها عبر ستارة كبيرة داكنة تفصل مناطق الموتى عن أرض الخلود ثم سمعت صوت طفلها يقول:

" أمي الحبيبة ! أمي الرقيقة الحنونة!... كان تعرف ذلك الصوت جيداً... ذلك الصوت المحبب إليها ..وتلا ذلك قبلة بعد قبلة عبر ضياء لانهائي , ثم أشار الطفل إلى الستارة المظلمة وقال:

"أمي , لا يوجد على الأرض ما هو أجمل مما يوجد هنا . أترينهم جميعاً ؟ آه ...هذه هي السعادة الحقيقية... حدّقت الأم بعيون أهل الأرض , ولكن لم يكن بإمكانها أن تشاهد ما كان يشاهده ذلك الطفل الذي استدعاه الله (عزّ وجلّ) إليه... كان بإمكانها أن تسمع فقط صوت الموسيقى ولكن لم يكن بإمكانها أن تسمع أي من الكلمات , الكلمات التي كان عليها أن تؤمن بها. ثم قال الطفل :

" أمي!.. أتعلمين؟ أصبح بإمكاني الآن أن أطير في جنة الله مع باقي الأطفال السعداء., وسوف أطير إلى هناك الآن., لكنك لو بكيت لأجلي كما تفعلين الآن فلن تريني ثانية. ومع ذلك سوف أذهب إلى هناك بكل سرور. هل بإمكاني أن أطير الآن؟ سوف تأتين ثانية لرؤيتي أليس كذلك ؟ ألن تفعلي ذلك يا أمي الغالية ؟"

توسلت إليه الأم " آه يا حبيبي !... ابق هنا, ابق هنا للحظة واحدة فقط, لمرة واحدة فقط كي أتمكن من النظر إليك ولكي أقبلك وأضمّك إلى صدري."

ثم حضنت طفلها وأخذت تُقبله . لكنها سمعت من يناديها من فوق., ما الذي قد يعنيه ذلك ؟ كان قد تم النطق باسمها بالفعل ولكن بصوت حزين.

قال الطفل" أ تسمعين أمي ؟ هذا أبي يناديكِ."

وكانت بعد لحظات قد سمعت شبه تأوهات عميقة كما لو أن هناك من يبكي. قال الطفل :

" هما أختيّ, لم تنسيهما بالتأكيد."

وبذلك كانت الأم المفجعة قد تذكرت من تركتهم خلفها وتملّكها فزع شديد. نظرت حولها في ذلك الظلام الحالك . كانت هناك أشكال تتنقل بسرعة من حولها. خُيل إليها أنها تعرّفت

على البعض منهم, كانوا يطيرون من خلال مناطق الموت نحو الستارة السوداء ويختفون خلفها.

حدثت نفسها " قد يكون زوجها قد مرّ من هنا مع ابنتيها؟ لا., لازالت تنهداتهم وعويلهم تُسمع من الأعلى ...

يا إلهي ! كيف كانت قد نسيتهم تقريباً لأجله, هو الصغير الذي مات. ثم قال الطفل:

" أمي, أجراس الجنة تقرع الآن وسوف تُشرق الشمس."

ثم سطع فوقها نور طاغٍ, وكان الطفل قد اختفى وكانت قد حُملت إلى الأعلى...

أصبح كل ما حولها بارداً, رفعت يدها وشاهدت نفسها مُمددة على قبر طفلها.

كان الله (عزّ وجلّ) بذلك الحلم قد سدّد خُطاها وأنار لها بصيرتها, وبذلك سقطت على ركبتيها وطلبت المغفرة...

تساءلت " كيف فعلت ذلك؟ كانت قد رغبت بمنع إحدى الأرواح من الذهاب إلى رحلة الخلود الأبدي ... كانت قد نسِيت واجباتها نحو الأحياء الذين تركهم الله لها..."

وعندما أنهت ابتهالاتها واستغفارها, شعرت بأن ثقلاً كبيراً قد انزاح عن قلبها. سطعت الشمس فوق رأسها, وأطلق طائر صغير ترنيمة بهيجة , بينما كانت أجراس الكنيسة تقرع إيذاناً بموعد الصلاة .

كان كل ما حولها يبدو قِدسياً وبذلك كان قلبها المعذب قد تاب... أيقنت برحمة الله وأقرّت بما عليها من واجبات كان عليها أن تؤديها...

عادت مسرعة إلى المنزل. انحنت على زوجها الذي كان لايزال نائماً , وأيقظته بقبلاتها الدافئة المُخلصة, ثم بدأت كلمات المحبة والحنان تتدفق من شفتيهما معاً...ها قد عادت زوجته إلى ما كانت عليه سابقاً. عادت زوجة محبة , طيبة , قوية الإيمان والإرادة . ثم خرجت من شفتيها تلك الكلمات التي تدّل على الإيمان بقضاء الله (عزّ وجلّ) حيث قالت:

" كل ما يأتي من الله لابد أن يكون دوماً هو الأفضل للعباد."

ثم قبلت زوجها وابنتيها وقالت:

" هذه القبلات هي القبلات التي أرسلها طفلي إليكم من قبره..."

السيّر الذاتية للكتّاب

السيرة الذاتية للكاتب ليو تولستوي 1826 – 1910:

كاتب وشاعر وفيلسوف. تلقى تعليمه في السنوات الأولى من حياته على يدّ أساتذة من فرنسا وألمانيا وكان طالباً لامع الذكاء. ثم انتسب إلى جامعة قازان لدراسة اللغات الشرقية , إلا أنه عاد وانتسب إلى كلية الحقوق لكنه ترك الدراسة في تلك الكلية أيضاً دون أن يُكمل دراسته. عاش الكونت تولستوي أثناء فترة شبابه في كل من موسكو وسانت بطرسبرغ , كما خدم في الجيش القيصري . وكان في العام 1862 قد تزوج واستقر في قرية ياشنيا بوليانا لكي يرعى أملاك العائلة ,ورزق هناك بجميع أولاده, كما كانت ولادة أجمل ما كتبه من رواياته مثل : "حرب وسلام " وآنا كارينينا ". وكان قد بدأ يؤمن ويتوجه بأفكاره وبكتاباته نحو التبشير باللاعنف وبالحب الذي يجب أن يوحد مختلف فئات البشر. وهذا ما أدى إلى طرده من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كان قد تجرأ على إعطاء المواعظ وفق تلك المعتقدات , كما كان الكثيرون قد تخلوا عنه تخلى عنه لهذا السبب . وكان ليو تولستوي قد توفي في العام 1966في أسكابوفو في منزل ناظر المحطة , إلا أنه في الوقت الحاضر يلقى تقدير من هو من أعظم الشخصيات الأدبية ومن هو إنسان قديس.

السيرة الذاتية للكاتب أوسكر وايلد– 1854–1900:

من مواليد ايرلندة . تلقى تعليمه في جامعة دبلن ثم في جامعة أكسفورد . كان كاتباً وشاعراً وناقداً إلا أن موهبته الأكثر تألقاً كانت في كتابة المسرحيات وكان من أشهر تلك المسرحيات " أهمية أن تكون في المقدمة". عُرف بظرفه وبفطنته وبغرابة أطواره. وكان ما حقق له شهرته الكبيرة نشر قصته الأولى بعنوان "الأمير السعيد" وكذلك قصّة " صورة

دوريان جريي" , كما كان قد تم إنتاج بعض المسرحيات التي كتبها كأفلام سينمائية وكمسلسلات تلفزيونية

ومن أشهر قصائده قصيد "ريدنج جو" . كما كان قد حصل في العام 1878 على جائزة نيو ديغيت للشعر . لكنه عندما توفي في العام 1900 في مدينة باريسكان كان مُعدماً.

السيرة الذاتية للكاتب أنطون تشيخوف– 1860 – 1904:

ولد في تاغنروك في روسيا في العام 1860 . ثم انتقل مع عائلته للعيش في ميليكهوف حيث عاش هناك حتى العام 1899 اسعد أيام حياته . ثم توفي في ألمانيا في العام 1904على اثر نوبة قلبية نتيجة إصابته سابقاً بمرض السلّ وتم دفنه في مدينة موسكو.

كان قد درس الطب في جامعة موسكو . كان والده صاحب مخزن للبقالة وكان جدّه الأول من بين العبيد الذين تم تحريرهم, وهذا ما جعله يطلع عن كثب على حياة الطبقة الوسطى وعلى حياة طبقة القرويين والفلاحين ., وهذا ما انعكس بشكل إيجابي على كتاباته . عمل في بداية حياته في مهنته كطبيب . وعلى الرغم من أنه كان من ملاك الأراضي الإقطاعيين إلا أنه كان على علاقة جيّدة مع القرويين حيث كان يُعالجهم مجاناً , كما كان يُنظم الحملات لمكافحة وباء الكوليرا., وكان قد ساهم أيضاً بسداد تكاليف إنشاء بعض المدارس الحكومية .

يعتبر من رواد كتابة القصة القصيرة الحديثة,. وبذلك كان الكثيرون من كتاب عصره ومن كتاب الغرب في القرن العشرين قد تأثروا بأسلوبه الأدبي في كتابة القصة القصيرة ومنهم الكتّاب: جيمس جويس– كاترين مانفسيلد – هنري بورتر – إرنست همنغواي – رايمون كارفر. جورج برناردشو .

كما حصل على الكثير من الجوائز:

1– حصل في العام 1888على جائزة بوشكين للغات والآداب عن مجموعته القصصية التي كانت بعنوان " في الفجر"

2– مُنح في العام 1899شرف العضوية في أكاديمية العلوم والآداب .

3- كما منح في العام 1899جائزة ستانيسلاف لكتّاب الدراما والأوبرا لمساهمته في تشجيع قضية التعليم الوطني.

السيرة الذاتية للكاتبة لوسي مونتغومري1874 – 1942:

كاتبة كندية ولدت في نيو لندن في العام 1874 . تنحدر من عائلة عريقة كان أجدادها من السياسيين ومن رجال الأعمال ومن كبار المزارعين. كانت الابنة الوحيدة لوالديها. توفي والداها بمرض السلّ وهي لاتزال طفلة وعاشت مع جديها . كانت بعد تخرجها من جامعة الأمير ويلس قد التحقت بالتدريس إلا أنها تركت التدريس بعد وفاة جدها وعادت لكي تعيش مع جدتها .. حيث بدأت بالتأليف وكانت مؤلفاتها قد لاقت نجاحاً منقطع النظير لما تميّزت به من رقّة الإحساس في تصوير المشاعر. تميل إلى الحزن بسبب ما تركته في نفسها وفاة والديها .

تم إخراج العديد من مؤلفاتها كمسلسلات وأفلام سينمائية. كانت في نهاية حياتها قد أصيبت بانهيار عصبي وأدمنت على تعاطي الأدوية المهدئة. توفيت عام 1942في تورنتو بأزمة قلبية.

السيرة الذاتية للكاتب هانس كريستيان أندرسون 1805-1875:

كاتب وشاعر من الدانمرك. كتب العديد من القصائد ومن المسرحيات والقصص القصيرة, لكن أكثرها شهرة كانت قصص الخيال التي تضمنت بذات الوقت مَقولة أخلاقية وكان قد وصل عددها إلى 150 قصّة والتي لا تزال تعاد طباعتها ونشرها إلى اليوم. كانت أول رواياته قد نُشرت في العام 1835 من قبل جامعة كوبنهاغن تحت عنوان " المُرتجِل" وكان قد

مُنح عليها جائزة تقديرية من الجامعة . كان قد استنبط أسلوباً جديداً له خاصيته. كان أول ما نُشر له من قصائده الشعرية تحت عنوان " الطفل الذي يموت" قد لقي نجاحاً مُنقطع النظير .

حصل خلال حياته على العديد من الجوائز التقديرية:

1- منحه الملك فريدريك الرابع في العام 1846 لقب فارس الصقر الأحمر.

2- كما منحه الملك ماكسيمليان الثاني في بافاريا في العام 1859جائزة في الآداب والعلوم .

كان في نهاية حياته قد أصيب بسرطان الكبد مما أدى إلى وفاته في العام 1875وتمت مواراته التراب في كوبنهاغن.

ملخصات القصص

قصص الكاتب أنطون تشيخوف

قصة المتسوّل:

قصّة رجل ترك لنفسه العنان للإدمان على الشراب مما أدى إلى خسارته عمله وإلى تحوّله إلى متسوّل وعالة على المجتمع. أما الحكمة التي يُمكن استخلاصها من القصّة فهي أن هناك إمكانية دائمة لأن يعود المرء إلى الطريق القويم إن وجد من يمدّ له يدّ العون. وبأن المساعدة على إصلاح الآخرين ينبغي ألا تتم بأسلوب الردع فقط وإنما يجب أن يرافقها ما من شأنه أن يُشعر الشخص بالثقة وبإمكانية تغلبه على ضعفه وكذلك بما يُشعره ببعض الحنان فقد يكون نقص الحنان سبباً في انحراف المرء... كان لكل من السيد ولطاهيته في هذه القصّة دورهما في تحوّل ذلك المتسّول المُدمن إلى شخص سويّ. السيد الذي منحه فرصة كسب عيشه بالعمل, والطاهية التي كانت, رغم زجرها الدائم له, قد غمرته بالعطف. هذا ما يتوافق تماماً مع مقولة:

" إن كنت تريد مساعدتي حقاً, علّمني كيف أزرع القمح ولا تُعطني فقط ألف رغيف من الخبز".

قصّة الرهان:

قصّة رجل يُقايض على حريته بمبلغ كبير من المال. وفي هذه القصة حكمة رائعة قد يغفل عنها الكثيرون هي أن حريّة المرء أثمن من أموال العالم., وبأن من يفهم الحياة لا يتمسك بالمظاهر الكاذبة وبالأمنيات الخادعة., وبأن المرء كلما تعمق في محاولة فهم سرّ الحياة, سوف يجد بأن كل ما في الحياة من مال و جمال و مكانة اجتماعية رفيعة ومن مباهج سريع الزوال...

القناعة كنز لا يفنى..

قصّة نهاية سعيدة:

قصّة رجل تجاوز سن الزواج يبحث, عن طريق خاطبة, عن شريكة حياة ذات مواصفات مُحدّدة, يتبيّن بأن أهمها بالنسبة إليه هي في الحقيقة الثروة... القصّة ذات طابع هزلي, تتضمن سخرية مبطنة ولاذعة بما قد يكون لدى الكثير من طالبي الزواج من جشع وحب للمال, مما يجعلهم يتغاضون أو يُغفلون التفكير بأفضل المواصفات المطلوبة في الزوجة المناسبة...

قصّة التعاسة:

قصّة معاناة رجل بائس, توفى ابنه الوحيد, يبحث عن شخص يُفضي إليه بما يعانيه من حزن شديد ومن الأسى. يُلقي الكاتب الضوء في هذه القصّة على عدم المبالاة والقسوة التي قد يتعرض إليهما المرء أحياناً حتى وهو يحاول أن يحصل من الآخرين على بعض المشاركة الوجدانية... بحيث يتساءل آخر الأمر " لمن سأشكو حزني؟"

" لله عزّ وجلّ بالطبع..."

قصص الكاتب ليو تولستوي

قصّة يرى الله الحقيقة لكنه ينتظر... :

قصّة رجل اتهم ظلماً بجريمة قتل ارتكبها شخص آخر , وأعدّ لها الدلائل التي أدت إلى إدانة ذلك الشخص البريء وإلى سجنه لمدة ستة وعشرين عاماً., لكن الحقيقة تظهر بعد تلك المدة, حيث يعترف القاتل الحقيقي الذي تتم إدانته بجريمة أخرى وسجنه في ذات السجن. ويكون اعترافه نتيجة ما شعر به من ندم ومن تأنيب ضمير أمام سمو خُلق ذلك الشخص البريء الذي يمتنع, حتى بعد تأكده بأنه من تسبب بسجنه طوال تلك المدة, عن الإفشاء بسرّ محاولته الهرب من السجن لكي يُجنبه عقوبة الجلد بالسياط... لكن اعترافه يأتي متأخراً لأن السجين البريء يفارق الحياة يوم إعلان براءته.

" يُظهر الله الحقيقة ولو بعد حين..."

قصّة الشمعة:

قصّة تُعيد إلى ذاكرتنا ما كان يلقاه العبيد في القرن الثامن عشر من ظلم واستغلال , أي ما قبل قيام إسكندر الثاني في روسيا بتحرير العبيد وبمنع الاستعباد. بإمكان القارئ أن يستخلص منها أن الله وحده من ينصر المظلوم على الظالم ,وبأن على المرء أن يُقاوم رغبته بالانتقام لنفسه وبأن يُقابل الشّر بالشر..

"ومن يُقاوم نزغ الشيطان يفوز"

قصّة العصفور:

قصّة رقيقة جداً عن طفل يحتجز عصفوراً في قفص لأنه اعتقد بأنه بما يقدمه له من طعام ورعاية سوف يكون قد عوّضه عن حريته... لكن العصفور يموت مما يجعل الطفل يُقلع عن اصطياد العصافير وعن احتجازهم داخل قفص. وهي المقولة التي تنطبق أيضاً على البشر...

"إن السلاسل التي تُقيّد الحرية مُزعجة ومُتعبة حتى لو كانت مصنوعة من الذهب..."

قصص الكاتب أوسكر وايلد

قصّة الأمير السعيد:

من أجمل القصص التي كتبت عن التضحية والإيثار , وهي قصّة خيالية تتحدث عن أمير (أصبح تمثالاً بعد وفاته) يتخلى حتى عن عينيه لكي يقدم المساعدة للفقراء والمحتاجين. كما تتحدث عن صداقة تنشأ بين ذلك التمثال وبين سنونو صغير بحيث يصبح السنونو رسول الأمير الذي يحمل الجواهر والذهب إلى الفقراء ... لكن السنونو يموت لشدّة البرد ولعدم التحاقه بأصدقائه الطيور الذين رحلوا إلى مصر حيث الجو الدافئ. كما يؤدي انتزاع كل ما على التمثال من جواهر ثمينة ومن طبقات الذهب التي تكسوه إلى أن يتم اقتلاع التمثال وصهره بعد أن يُصبح بالياً ... لكن الاثنان يجتمعان من جديد في جنّة الله الذي لا يُضيع أجر المحسنين..

قصّة الصديق المخلص:

قصّة تتحدث عن استغلال صديق لصديقه تحت شعار التعاون والإخلاص بين الأصدقاء., في الوقت الذي يمتنع فيه عن أداء أية خدمة بالمقابل لذلك الصديق الذي يتعرض إلى الفقر والجوع والحاجة , مما يؤدي في النهاية إلى هلاكه . وكان الكاتب قد رغب بذلك الإشارة إلى أن على المرء أن يُحسن اختيار الأصدقاء.

"صديقي من يضرب سعادتي باثنين ومن يقسّم أحزاني على اثنين."

قصص الكاتبة لوسي مونتغومري

قصّة روح هائمة:

قصّة تتحدث عن تعلّق الإنسان بالأشخاص و بالمكان.. وبأن الأشياء غير المحسوسة قد تصبح جزءاً من الإنسان بحيث يكون ارتباطه الروحي بها إلى الحدّ الذي قد يجعله يتخلى لأجل ذلك عن الكثير من طموحاته... وقد تمكّنت الكاتبة من أن تُصوّر بكل دقّة الصراع النفسي الذي قد يتعرض إليه المرء عندما يكون عليه الاختيار بين ما يتطلع إليه وبين ما كان قد تعلّق به واعتاد عليه... وفي هذا ما يدعّم قول الشاعر:

لبيت تخفق الرياح فيه أحب إلي من قصر منيف ولبس عباءة ويطيب عيشي أحب إلي من لبس الشفوف

قصّة غير المَنسية:

قصّة جميلة جداً تتحدث عن الوفاء .. تصوّر فيها الكاتبة بشكل رائع المشاعر النبيلة لفتاة يتيمة تعيش على الإحسان تجاه من تعتقد أنهم نَسوا من كانت أكثرهم إحساناً إليها... كما تلقي فيها الضوء على الحكمة التي تقول بأن ما يتركه المرء من أثر طيب لابد من أن يُعطر ذكراه بعد وفاته.

" القلوب مزارع فازرع فيها الطيب فإن لم ينبت كله فلابد من أن ينبت بعضه.."

قصص الكاتب هانس كريستيان أندرسون

قصة طفل في القبر:

قصّة رقيقة تزخر بالعاطفة وبرقّة الإحساس, صورّ بها الكاتب مشاعر أم فقدت طفلها الصغير وهذا ما جعلها لا تتقبل قضاء الله, وكيف أن طفلها الذي تمثّل لها في الحلم كان قد أعادها , بإلهام من الله تعالى , إلى الإيمان الذي غمر قلبها بالسكينة , مما جعلها تتوب إلى الله لاعتراضها على مشيئته التي لم تُحط بها علماً..

قضاء الله العلي أراده ألا ربما كانت إرادته خيرا

الفـهــرس

المقدمة
المتسوّل
الرهان
نهاية سعيدة
التعاسة
يرى الله الحقيقة، لكنه ينتظر...
الشمعة
العصفور
الأمير السعيد
الصديق المخلص
روح هائمة
غير المَنسية
طفل في القبر
السيّر الذاتية للكتّاب
ملخصات القصص